

كلمة صغيرة

المؤتمر العالمي للسكان والتنمية ، مؤتمر مشبوه ، يتضح ذلك من خلال ورقة عمله التي بلغت مائتي صفحة ، تضمنت أموراً مصادمة للإسلام من الدعوة إلى تسهيل القضايا الجنسية ، وتشجيع المساواة المطلقة بين البنين والبنات في كل التشريعات ، ولدعوة إلى تحديد النسل ، وإشاعة موانع لحمل وسن القوانين التي تبيح عمليات الإجهاض وتلك الداعوى الباطل للإسلام منها موقف حاسم ولذلك رفضه علماء الإسلام قاطبة .

فلمذا _ إذن تستضاف تلك المؤتمرات المشبوهة لطرح سخافاته بدعوى العلم وحرية الرأي وهي تصادم الدين ؟ ، ولماذا لم يعقد هذا اللتان تعنيان من كثافة سكانية عليه وليس لديهما دين يمانع في تبني تلك الدعوى الباطلة ؟ !

إننا في حاجة إلى زيادة النسل مع أسلمة خطط التنمية ، وفي ذلك حل لكل إشكاليات المؤتمر .
والسؤال المهم لمصلحة من يقام هذا المؤتمر ؟

الافتتاحية

ماذا وراء أمواج السلام؟!

لله تعالى مع يهود تاريخ حافل بالصراع تخلله صور عديدة لمكرهم وغدرهم مصداقاً لقوله تعالى ((ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)) ، ومؤامرات ابن السوداء وميمون القداح وأثارها الخطيرة في تاريخنا مسيطرة وجهودهم في إفساد ترااثنا الإسلامي ببث إسرائيلياتهم معروفة وتطاولهم بالإسلام لكيدهم كما فعل (يهود الدولة) ، الذين عملوا على إسقاط الخلافة العثمانية ، لا يجهله أي قارئ للتاريخ الحديث ، وقامت دولتهم على ثرى فلسطين المسلمة بدعم من الإنجليز الذين أعطوههم (وعد بلفور) عام ١٩١٧ مؤذناً بقيام دولتهم التي قامت فعلاً عام ١٩٤٨ ، ولم تفلح الحكومات العربية آنذاك في التعامل معهم ومواجهتهم ، بل أوقفت الزحوف المجاهدة المنطلقة لتحرير فلسطين المغتصبة بدعوى أن ذلك واجب الحكومات العربية التي انهزمت شر هزيمة ، وتوالت النكبات في عصور القومية العربية والنزاعات الثورية العلمانية ، التي لم تكن سياساتها حيال العدو سوى الحرب الكلامية ومجرد التلويع باسترداد الأرضي المغتصبة ليس إلا ! وكانت النتيجة المحتملة لتلك السياسات العجيبة الهزائم المتواتلة في أعوام ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ مما أوجد إحباطاً لدى الشعوب العربية التي لم تُعد الإعداد المطلوب للجهاد في سبيل الله وهذا ما أدى فيما بعد إلى السقوط في مستنقع الاستسلام للعدو بدءاً بقبول (مشروع روجرز) من قبل (عبد الناصر) إلى صلح السادات في كارثة (الكامب ديفيد) إلى الغرق في الوحل بمهزلة الحكم الذاتي في غزة وأريحا ، التي مازال العدو يمسك بخناقها ، ثم التوقيع بالصلح مؤخراً مع الأردن ، حيث أعلن أن هذا الصلح يؤذن بإنهاء الحرب بين البلدين بعد وعد من أمريكا بالدعم الاقتصادي والتزاول عن ديونه، ومد جيشه بالسلاح ، ولا ندرى لحرب من؟!

والواضح أن ذلك الصلح مخطط له منذ عشرين سنة على الأقل! وهذا ما أكدته الخطوات التطبيعية السريعة بينهما والمتمثلة فيما يلي:

١- الربط المباشر بين البلدين في الهاتف والكهرباء.

٢- فتح نقطتي عبور جديتين للسياحة والرعايا

٣- الإسراع بفتح ممر جوي بينهما وهو ما حصل بالفعل ؛ تعاون قوات الأمن في البلدين لمكافحة الجريمة.

٤- استمرار المفاوضات حول الشؤون الاقتصادية تمهيداً للتعاون الثقافي المستقبلي، وال Kapoor الوحيد في مسألة السلام هذا هو العدو لأمور منها:

٥- نجاحه في تفريح الصدف العربي والتفرد بكل دولة في سلام مهين

٦- التطبيع القائم في الأصعدة السياسية والإعلامية والسياحية ، وأخطر من ذلك التطبيع الثقافي الذي يعني إزالة كل ما في الكتب والصحف والمناهج من كون اليهود أعداء لأمتنا ، ولا ندرى ماذا سيصنعون بما في الوحيدين

٧- انتعاش الاقتصاد الصهيوني خاصة بعد تطبيق إلغاء المقاطعة العربية وهذا ما بشر به (بيريز) قوله في كتابه (شرق أو سط جيد)

٨- تقرير الأمة في بناء قوتها بناءً على هذا السلام الموهوم بينما العدو مسلح نووياً واقتصادياً وإعلامياً ، بما لا يدع مجالاً للمقارنة

إن موقفنا من العدو موقف عقيدة ، وليس المسألة حاجزاً نفسياً يسهل هدمه ، يقول تعالى ((ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)). ولاشك أن التداعي السريع على هذا السلام أو بتعبير أدق(التطبيع) هو تجاهل لموقف عقيدتنا وجهل بحقيقة الصراع مع العدو ، مما أدى إلى السياسات العقيمة على كل الأصعدة ، حيث ووجه الاتحاد بالتفريق ووجهت القوة بالضعف والعقيدة بالأيديولوجيات الفاشلة.

إن الحل الإسلامي الذي يعرفه العدو ويخشى مازال معطلاً من إعداد للعدة وتجييش للجيوش وتربية للأمة التربية الجهادية وتحكيم لشريعة الله واستقلالية القرار بعيداً عن المؤثرات الأجنبية ، وهذا الحل هو ما يخشاه قادة العدو ، يقول (بن جوريون): «لا تخشى إلا الإسلام ، هذا المارد الذي بدأ يتململ من جديد ويقول: إن ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي: محمد جديد»

إن واقعنا اليوم - في خضم هذه الأحداث المتواترة - يضع علامات استفهام كبيرة تحتاج إلى جواب. لماذا ينحى الإسلام من المواجهة وهو الحل الحاسم لغطرسة العدو؟

لماذا تضرب الحركات الإسلامية المجاهدة في كل بلد عربي عند التمهيد لكل سقوط واستسلام للعدو؟

لماذا يتصدر الرأي المعارض للاستسلام ويعتبر أهله دعاء انقسام وتفريق للصفوف ويحاربون بكل الوسائل الإعلامية؟

لماذا تستخرج الموافقة للاستسلام للعدو بأساليب مزيفة وإدعاء أن ذلك رغبة الشعوب مع محاولات إغرائها بوسائل مكشوفة لقبول تلك التوجهات؟!

كيف يفرط في أراض إسلامية مغتصبة ويكتفى ببعض ما احتل بعد نكبة ٦٧ فقط ، وما قبلها أليست تلك أراض إسلامية محتلة؟!

ولا ندرى متى يُكَف عن التزوير وتسمية الأشياء بغير اسمائها ، ففي هذه الأيام يسمى هذا السقوط بسلام الشجعان! وما عهدا الشجعان يفترطون في مبادئهم ويتهاونون في حقوقهم.

وعلى كل حال يجب أن لا ننأى من روح الله ونصره ، متى ما صدقنا معه ، وأعددنا العدة ، وجاهدنا في سبيله بكل السبل الشرعية المتاحة ومن أعظمها إيقاظ الحس الإسلامي في الشعوب الملبس عليها ، ببيان حقيقة أعدائها وال موقف منهم ، وتبشيرها بمثل قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - (« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » * ، فلماذا نعطي الدنيا في ديننا والله تعالى يقول: (« والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »))

الهوامش :

* رواه البخاري في صحيحه ، باب قتال اليهود من كتاب الجهاد ج ١ ٢٣٢

في إشراف آية وخلق الإنسان ضعيفاً (١)

د. عبد الكريم بكار

الإنسان هذا المخلوق العجيب هو صنعة الله تعالى المحكمة الدقيقة هذا الإنسان الذي يبدو للوهلة الأولى في منتهى البساطة مشتمل على كل أشكال التعقيد، إنه يبدو قوياً مخيفاً مع أنه في حد ذاته ضعيف في كل جانب من جوانب شخصيته ضعفاً لا يوازيه شيء سوى ما يدعيه من القوة والعزة والسيطرة!

إن هذه الكلمات القرآنية الثلاث قد لخصت لنا جوهر الإنسان ، لكن دون أن تضع لنا الإصبع على مفردات ذلك الضعف ومظاهره ليظل اكتشافها التدريجي عبارة عن دروس وعظات مستمرة تذكر الإنسان بحقيقة ، وسوف ينفذ العمر دون أن نحيط بحقيقة أنفسنا .
ويمكن أن نسلط الضوء على بعض ما أدركناه من ضعفنا وبعض ما يجب علينا تجاه ذلك في الكلمات التالية:

١- تَبَصِّرُ بْنَيُ النَّاسِ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ التَّقْدِيمِ الْمَعْرُوفِ الْكَبِيرِ بِأَجْسَامِهِمْ مَا زَالَ مَحْدُودًا إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا ، فَهُنَّاكَ أَجْزَاءٌ مِنْ أَجْسَامِنَا مَا زَالَتْ مَنَاطِقٌ مُحَرَّمَةٌ ، فَعَلَمَ الدَّمَاغُ مَا زَالَ عِلْمٌ إِصَابَاتٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ عِلْمٌ وَظَاهِرٌ وَتَشْرِيعٌ ، وَمِرَكَّبَاتُ الْأَنْسَجَةُ وَالسَّوَائِلُ الْمُخْتَلِفَةُ فِي أَجْسَامِنَا وَتَقَاعِدُهَا مَعْ بَعْضِهَا مَا زَالَ الْكَثِيرُ مِنْهَا مَجْهُولًا ، فَإِذَا مَا دَلَفْنَا إِلَى مَنَاطِقِ الْمَشَاعِرِ وَالْإِدْرَاكِ وَصَلَاتِهَا وَتَفَاعِلَتِهَا بِالْجُوَانِبِ الْعَضْوِيَّةِ ، وَجَدْنَا أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا لَدِينَا ظَنَّنَا وَتَخَرِصَاتٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَقَّاً .
فَإِذَا مَا خَطَوْنَا خَطْوَةً أُخْرَى نَحْوَ الْعَالَمِ الْوَجْدَانِيِّ وَالرُّوحِيِّ وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا فِي مَتَاهَاتِ وَسَرَادِيبِ ، حَتَّى إِنَّ الْفَرِديَّةَ لِتَطْبِعَ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ وَجُودَنَا الْمَعْنَوِيِّ ، مَا يَجْعَلُ إِمْكَانَاتِ الْفَهْمِ وَوَضْعَ النَّوَامِيسِ وَالنَّظَمِ الْعَامَّةِ أَمْوَارًا قَلِيلَةً الْفَاعِلِيَّةِ مَحْدُودَةَ النَّجَاحِ .

إنَّ الْبَاحِثَيْنَ فِي مَجَالَاتِ عِلْمِ الْإِنْسَانِ يَجِدُونَ الْطَرِقَ مُتَشَعِّبَةً مُلْتَوِيَّةً كَلَمَا تَقْدِمُوا نَحْوَ الْأَمَامِ ، عَلَى حِينَ أَنَّ الْبَاحِثَيْنَ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْدِيمِ الْمَعْرُوفِ الْأَفْقِيِّ فِي إِضَاعَةِ مَا بَقِيَ مُظْلِمًا مِنْ مَسَائِلِ الطَّبِيعَةِ وَالْمَادِيَّةِ . وَتَقَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قَلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)) [الإسراء: ٨٥]

وَيَزِدَادُ ظَهُورُ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ حِينَ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ فِي صَرَاعٍ بَيْنَ عَقْلِهِ وَمَشَاعِرِهِ حِيثُ يَجِدُ نَفْسَهُ عَاجِزًا عَنْ دَفْعِ مَشَاعِرِهِ وَالْخَلَاصِ مِنْ وَسَاؤُسِهِ وَالتَّغلُّبِ عَلَى مَخَاوِفِهِ أَوْ مَعْرِفَةِ مَصْدِرِهَا فِي

مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

بعض الأحيان ، ليدرك المرء تلو المرء أنه مع طموحه إلى السيادة على الأرض وغزو الفضاء قاصر عن السيطرة على نفسه!

إن فاعلية كل رأي ودقة نابعان من مجموعة العمليات التي يستند إليها فحين تكون تلك العمليات ظنية وعائمة فإن آرائنا الطبية والنفسية سوف يظل كثير منها هشاً ونسبة الصواب.

٢- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يبصر الأمر إلا ضمن شروط ومعطيات زمانية ومكانية وثقافية خاصة ومحدودة، فهو لا يستطيع أن يتخلص من محدودية الرؤية وضرورة النظر من زاوية معينة، وهذا هو السر الأكبر في أننا لا نملك أن نتفق حول كثير من المسائل والقضايا المطروحة. إن خصوصية تكويننا وظروفنا ومشاعرنا تدفع مواقفنا وأراءنا إلى التفرد ، ومن ثم فإننا نعجز عن توحيد الرؤية وبسط الرأي الواحد في أكثر شؤوننا.

٣- نحن عاجزون عن إدراك الأشكال النهاية لأكثر حقائق هذا الكون دفعة واحدة ، فالحقائق لا تسفر لنا عن كل أبعادها وأطوارها إلا على سبيل التدرج ، ومن ثم فإن الإنسان الضعيف يظل يكتشف عجزه باستمرار ، وكأن ما يحرزه من التقدم اليوم ليس إلا عنواناً على ما كان يجهله بالأمس ، وما سيصل إليه غداً ليس إلا رمزاً على ما يجهله اليوم ، ومن ثم فإن التغيير والتطوير يظلان ملazمين لكل إنتاجاتنا وإبداعاتنا على مقدار ما نحرزه من تقدم في العلم والفهم ، والمقوله التي لا يفتأـ هذا المخلوق الضعيف يرددـها: «لو استقبلـت من أمرـي ما استـدرـت لفعلـت كـذا ، ولـقلـت كـذا... ، وانـطلاـقاً من هـذا فـإن من سـمات النـظريـات العـلمـية النـاجـحة أن تكون مـنـفـحة وـذـات قـابلـية جـيدة لـإـضـافـاتـ التي تـأتـي بـها حـرـكة كـشـفـ الحـقـائقـ وإـدـراكـ المـجـهـولاتـ.

٤- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يجزم بشيء مقطوع من حوادث المستقبل ، فمهما أدرك المرء الظروف والعوامل والمؤثرات التي تحيط به لم يستطع أن يعرف ماذا سيحدث له بعد شهر أو يوم أو ساعة ، وأعظم أطباء الدنيا لا يستطيع ضمان استمرار حياته أو حياة غيره ساعة من زمان ، ومن ثم فإن القلق والخوف من المستقبل هما الهاجس الجاثم فوق صدر الإنسان الحديث الذي فقد الإيمان وفضيلة الدمج بين الحياة الدنيا والآخرة ، والمتأمل في كثير من الأقوال والتصريحات والدراسات يجد أن خبراء الاستراتيجية هم أكثر الناس مجازفة ولا سيما عندما يشرعون في سرد التفاصيل للأحداث المتوقعة ، حيث تقصر طاقات البشر وإمكاناتهم عن التنبؤ بها (٢) .

٥- أكثر ما يظن فيه عجز الإنسان وضعفه هو الإمكانيات التي يمتلكها لفهم الواقع المعاش بكلياته وجزئياته ومشكلاته وخياليه ، وقد كثرت في أيامنا هذه الدعوة إلى فهم الواقع وفقيه ، وهي دعوة مهمة ، لكنها تخفي في طريقة طرحها نوعاً من التبسيط للمسألة ، حيث إن فهم الواقع أو مقارنته مسألة من أعقد ما يواجهه العقل البشري ، فالقيم التي نؤمن بها تتحكم إلى حد كبير في رؤيتنا لذلك الواقع ، وكثيراً ما تشكل حائلًا بيننا وبين رؤية حقيقة ما يجري فيه. والعقل الإنساني حتى يلامس الواقع فإنه يفترض ثباته وجموده، على حين أن الواقع يظل محطة لتدفق التحولات المشعة الكثيرة والحادية أحياناً مما يجعل إدراكنا قاصراً عن ملاحظته ، وبالتالي فإن أحكامنا تصدر على أشياء فائتة ومنتهية ومن هنا فإنه لابد من بناء (إشكالية) ، يتم من خلالها تقسيم الواقع إلى قضايا يمكن تحديدها وتقديم إجابات وحلول لها ، والنمط الذي سنصور الواقع من خلاله هو عبارة عن صورة عقلية مركبة تدخل فيها رؤانا العقدية إلى جانب العناصر المعرفية والقيم الاجتماعية التي ترشد حركة المجتمع ، ومادام كل ذلك متقاوياً عند الناس فإن عجزنا عن لم الخلاف سوف يظهر أكثر وأكثر عندما نحاول تقويم الواقع وإصدار الأحكام عليه.

وهذا ما سيؤدي بالتالي إلى اختلافات كثيرة في مناهج الإصلاح ومشروعات النهوض الحضاري ، وهنا يظهر مرة أخرى مأزق وهن الإنسان حيث إن التقدم العلمي لا يتحقق دون

الإغراق في التخصص ، والتقدم يستمد مشروعيته وأهميته من كونه يقدم الأدوات التي تساعد على إصلاح شأن الإنسان وترشيد قراراته ، لكن الإغراق في التخصص يحول دون فهم الواقع ودون فهم حاجات الإنسان المختلفة من منظور شامل ، إذ إن مجال التخصصات هو الجزئيات ، وفهم الواقع الإنساني يحتاج إلى رؤى ونظريات كلية لا تتوفر عادة عند الاختصاصيين.. ومن هنا ندرك لماذا نرى تقدم المعرفة وتأخر الإنسان وانحداره شيئاً فشيئاً نحو البربرية! إننا عاجزون عن رعاية شؤوننا إذ أما ابتعادنا عن الانتفاع بالهداية الربانية.

الموقف الموضوعي مما سبق:

إذا كان الإنسان على ما ذكرنا من العجز والقصور فإن عليه أن يطامن من نفسه ، وي الخضع لفقيوم السموات والأرض خضوع العارف بضعفه المدرك لعظمة خالقه متخذًا من ذلك باباً للأوبة والتوبة الدائمة.

وعلى الإنسان مع ذلك أن يحترم عقله وقدراته فلا يزج به في مجاهيل وغيوب لا يملك أدنى مقدمات للبحث فيها ، حتى لا يتناقض واقعه مع ذاته ومن المنهجية القوية أن نعلم أنفسنا الصبر على الاستقراء والتأمل وعدم المسارعة إلى إطلاق الأحكام الكبيرة قبل التأكد من سلامية المقدمات التي تستند إليها ، وحين نصل إلى حكم ظني فإنه علينا أن نصوغه بطريقة تشعر المطلع عليه بذلك ، فلا نسوق القطعيات مساق الظنون ، ولا الظنون مساق القطعيات. ويررون عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان كثيراً ما يردد قوله تعالى ((إن نظرت إلا ظناً وما نحن بمستيقن)) [الجاثية: ٣٢] وذلك عندما يستقتني فيفتي، وقد عتب الإمام الجويني على الماوردي أنه كان في كتابه «الأحكام السلطانية» يسوق المظنونات والمعلومات على منهاج واحد «(٣). مع أن النصوص في مجالات «السياسة الشرعية» قليلة ، وأكثر المسائل فيها مبنية على الاجتهاد.

إن الوضعية التي وضع الله تعالى فيها الإنسان تحتم أن نظل في حالة من الاستعداد الدائم لقبول الحق أيًا كان مصدره والتراجع عن الخطأ وتعديل الرأي وامتلاك فضيلة المرونة الذهنية ، وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش:

(١) النساء: ٢٨

(٢) اقرأ إن شئت ما كتبه (نيكسون) في كتابه (نصر بلا حرب) عن المستقبل الذي يتوقعه لروسيا ثم ما آلت إليه الأمور!

(٣) انظر الغيثي: ١٤٢ تحقيق د. عبد العظيم الديب

من فقه الدعوة

نظارات تربوية في خلق الصدق

- ٣ -

عبد العزيز بن ناصر الجليل

نشرت الحلقات الأولى والثانية من هذه الدراسة في العدددين (٧٥) و (٧٦) من هذه المجلة، ولظروف فنية تأجلت هذه الحلقة الأخيرة حيث يضع الكاتب بين يدي القارئ هذه الهموم والأشجان في صورة رسائل إلى من يهمه الأمر.

- البيان -

الرسالة الأولى إلى علماء الأمة وطلاب العلم فيها:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به ربنا عز وجل عباده المؤمنين ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين)) [التوبة: ١١٩].

يا علماءنا الأجلاء: يا من تعدد عليهم الأمة أملها بعد الله سبحانه في إنقاذهما مما هي فيه من جهل ومحن وبلاء ((اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) وإن من لوازم الصدق مع الله سبحانه وتعالى ومع عباده المؤمنين ، الحذر الشديد من الدنيا وزينتها وزخرفها ، فلا أضر على العالم منها ، ولذا كان سلفنا الصالح يحذرونها أشد الحذر ، فبارك الله في علمهم وعملهم ، وأصلاح الله بهم ما فسد.

أيها العلماء الأجلاء: إن أمتنا الإسلامية تمر في هذا الزمان بمحن شديدة وهي تنتظر كلمتكم ، فإذا سكتم فمن عقيدة الأمة التي يسعى الأعداء لإفسادها ومن لدماء الأمة التي تسفك وتستباح يوماً بعد يوم ، ومن لأعراض الأمة وأخلاقها التي تنتهاك باسم الحرية والتقدم والتحضر ، ومن لأموال الأمة واقتاصادها الذي تسرى فيه نار الربا والبیوع المحرمة؟!

ودعاؤنا إلى الله عز وجل أن تلتجم صفوف المصلحين في هذه الأمة من علمائها ودعاتها ومجاهديها وقادتها ليكونوا يداً واحدة في الإصلاح والدعوة إلى الله بالحكمة والمواعظ الحسنة ، راجياً أن تقبلوا هذا التذكير ولو صدر من ابنكم الصغير.

ولكم في سيرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قدوة حسنة ، فقد استفاد في محتته من أعرابي عامي... ذكر الذهبي في السير: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر يعني محتته أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رجعة طوق ، قال: يا أحمد ، إن يقتلك الحق مُت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ، فقوى قلبي)(١).

الرسالة الثانية إلى دعاة الأمة ومجاهديها:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به الله سبحانه عباده المؤمنين: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبة: ١١٩].

وإن من لوازم الصدق ومقتضياته أن تكون الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله لأجل الله عز وجل وابتغاء مرضاته ، فلا تكون لأجل مال أو منصب أو جاه أو كسب شهرة أو التعصب لشيخ أو حزب أو طائفة ، لأن كل ذلك ذايب وضائع وممحوق البركة في الدنيا والآخرة ، فحربي بنا أن نحاسب أنفسنا ونحن في طريق الدعوة والجهاد في سبيل الله ، ونتبين مدى صدقنا في دعوتنا إلى الله سبحانه ، وهل هي خالصة لله وحده أم يشوبها ما يشوبها من أعراض الدنيا الفانية..؟!

وإن من لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه أن يبادر الداعية إلى تصديق قوله وما يدعو إليه بفعله ، وأن لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، أو يرحب في فعل ولا ينوي القيام به ، أو يظهر للناس حرقة وغيره على هذا الدين والأمر لا يتعدى شقشقة اللسان ، والقلب مشحون بأمر الدنيا

وشهواتها وغارق في وديانها ، إن كل ذلك مما ينافي الصدق في الدعوة إلى الله عز وجل.

مع أهمية سلامه قلب الداعية من الغل والحق والحسد على إخوانه الآخرين من الدعاء ، وإنما يُكنَّ المحبة لكل مصلح يدعوا إلى الخير ، ويتعاون معه في طاعة الله عز وجل ، ولا يحتقر جهده مهما قل ، ولا تراه إلا حريصاً وساعياً إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصف ، فالداعية الصادق يكره الفرقه والاختلاف إذا لم يكن في أصول الدين وكلياته ، والدعاة الصادقون يرحم بعضهم بعضاً ، ويرفق بعضهم ببعض ، ويتصاحبون فيما بينهم.

كما إن الصدق مع الله سبحانه في الدعوة والجهاد يفرض على المسلم أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه وي jihad من أجله ، وهذا يلزم التفقه في الدين والتبصرة فيه بما قال الله عز وجل وقال رسوله صلى الله عليه وسلم- وفهمه الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وإن من لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه ، الحذر من كيد الأعداء المتربيين بهذا الدين وأهله من الكافرين والمنافقين ، وبخاصة في زماننا هذا الذي تتوالت فيه أساليب المكر والخبث ، فحربي بالداعية الصادق أن يتقطن لدسائس الأعداء ودجلهم ونفاقهم ولو ألبسوه ذلك كله لبوس الحكمة والمصلحة إن التنازل اليسير من الداعية إلى الله سبحانه لا يقف عند حد ، بل يتبعه تنازلات وتنازلات ، لأن أعداء هذا الدين لا يكتفون بالقليل من الداعية وقد حذر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم من هذا الخطر فقال: ((فلا تُطِعْ الْمَكْذِبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهُنُونَ)) [القلم: ٩-٨]، والحقيقة التي ينبغي أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هي هذه الحقيقة التي لقنتها الله لصاحب الدعوة الأولى صلى الله عليه وسلم - وهي أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند الله فهو صاحبها، وأن الحق الذي تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذي يدعوه إليه الآثمون الكفار ، فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم ، أو الانقاء في منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل ، فهما منهاجان مختلفان وطريقان لا يلتقيان ، فأما حين يغلبه الباطل بقوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم ، لحكمة قضتها الله فالصبر حينئذ حتى يأتي الله بحكمه والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ، وهما الزاد المضمون لهذا الطريق.

إنها حقيقة كبيرة لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق فالمحاولات كثيرة التي حاول المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها المساومة على الدعوة ، ولكن الله عصم منها رسوله ، وهي محاولات الطغاة مع أصحاب الدعوات دائمًا ، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحل الوسط الذي يغرونهم به في مقابل مغانم كثيرة ، ومن جملة الدعاة من يفتتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً ، فأولئك لا يطلبون منه أن يترك دعوته كليةً ، إنما يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق.

ومن لوازم الصدق في الدعوة أن يحذر الداعية من الكذب على إخوانه المسلمين والداعية المصلحين ، ومن ذلك إشاعة الأخبار قبل التحقق من صحتها واستخدام الأساليب الملتوية والمراءات بحجة السياسة والمصلحة.. كل هذا لا يتفق وصدق الداعية وسلامة قلبه.

ومن لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه أن يعتني كل مسلم منا بنفسه بالوسائل الشرعية للتربية ، وذلك في وسط بيئة صالحة معروفة بصحة الفهم وحسن القصد ، يتربى معها ، ويعد نفسه للتضحية في سبيل الله عز وجل وبذل المال والنفس في ذلك ، وأن يوطن نفسه لابتلاءات الطريق ومشاقه ، التي هي سنة من سنن الله عز وجل لتمحيص الصنوف ، قال تعالى: ((أَلَمْ * أَحَسْ بِالنَّاسِ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمِنَا وَهُمْ لَا يَقْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَاهُمْ فَلَيَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الْكَاذِبِينَ)) [العنكبوت: ٣-٢] فلا يتبيّن الصادق في دعوته من الكاذب إلا بالابتلاء نسأل الله عز وجل العافية والصبر عند البلاء.

إن الداعية الذي يهمل نفسه فلا يربّيها ويعدها للبيع على الله عز وجل يوشك أن ينهزم وتخذله نفسه عند أول هزة وأول اختبار ، مع أنه يحب لنفسه غير ذلك مما يعيشها في حال الرخاء والأمن من الحماس العاطفي والكلام الذي لا يجاوز التراقي ، يقول سيد قطب رحمه الله : «إن العقيدة وطريقها لشاقة بعيدة ، تتقاصر دونها الهم الساقطة والعزائم الضعيفة ، إن تكاليف العقيدة هو جهد خطير ، تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب الخاوية ، ولكنه الأفق الذي تتخاصل دونه النفوس الصغيرة والبيئة الهزيلة ، قال تعالى: ((لَوْ كَانَ عَرْضاً قَرِيباً وَسَفِرًا فَاصْدَأْ لَا تَبْعُوكَ وَلَكَ بَعْدَ عَلَيْهِمُ الشَّقَّة)) [التوبه: ٤٢].

وإنني بهذه المناسبة أوصي نفسي وإخواني الدعاة والمجاهدين أن لا نتكلم في أمر ، أو نقدم على موقف من مواقف الدعوة حتى تتوفر فيه الشروط التالية:

- ١- الاطمئنان التام أنه الحق الذي يحبه الله تعالى ، وإعداد النفس لتحمل تبعاته.
- ٢- الاطمئنان التام على أن القيام في هذا الأمر هو لله سبحانه وحده وابتغاء مرضاته.
- ٣- الاستعانة بالله وحده في تحقيق هذا الأمر والثبات عليه إذ لا قدرة للعبد لحظة واحدة بدون عنون الله وتوفيقه.

إذن يا إخواني الدعاة: إن الأمر جد ليس بالهزل.

فارباً بنفسك أن ترتعى مع الهمل قد هيؤوك الأمر لو فطنت له

الرسالة الثالثة إلى المربين في هذه الأمة:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به الله سبحانه عباده المؤمنين ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبه: ١١٩].

أيها المربون: إن التربية لها معنى أوسع من التعليم وتألق المعلومات فالتربيـة هي الجهد الذي يبذلـه المربـون في كل مجـتمع من آباء وـمعلـمين وـغيرـهم في إنشـاء الأجيـال الـقادـمة على أساس العـقـيدة التي يؤمنـونـ بها ، وـمنـهمـ الفـرـصةـ الكـافـيةـ لـتـشـرـبـ مـعـانـيـ الـدـينـ وـالتـضـحـيـةـ مـنـ أـجـلـهـ وـالـاعـتـزـازـ بـهـ بـيـنـ

الأـمـمـ فـالـأـمـةـ الـجـادـةـ هـيـ الـتـيـ تـرـبـيـ أـبـنـاءـهـ طـبـقاـ لـلـعـقـيـدـةـ الـتـيـ تـدـيـنـ بـهـ اللهـ تـعـالـىـ ، وـتـسـعـىـ لـنـشـرـهـاـ بـيـنـ

الأـمـمـ ، حـتـىـ لـاـ تـكـوـنـ فـتـنـةـ ، وـيـكـوـنـ الـدـيـنـ كـلـهـ اللهـ تـعـالـىـ ، وـهـذـهـ مـهـمـةـ الـمـرـبـينـ فـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ فـمـاـ أـنـقـلـهـاـ

مـنـ تـبـعـةـ ، وـمـاـ أـشـرـفـهـاـ مـنـ رـسـالـةـ.

وـمـنـ لـوـازـمـ الصـدـقـ أـيـهـ الـمـرـبـونـ الـكـرـامـ أـنـ تـصـدـقـواـ مـعـ مـنـ وـلـاـكـمـ اللهـ تـرـبـيـتـهـمـ وـتـعـلـيمـهـ ، وـذـلـكـ

بـتـعـلـيمـهـمـ الـخـيـرـ ، وـرـبـطـهـمـ بـأـبـطـالـ هـذـهـ الـأـمـةـ وـرـعـيـلـهـاـ الـأـوـلـ ، وـتـحـذـيرـهـمـ مـنـ الشـرـ وـأـهـلـهـ ، وـتـبـصـيرـهـمـ

سـبـيلـ الـمـجـرـمـينـ وـأـفـكـارـهـمـ الـخـيـثـيـةـ وـتـقـنـيـدـهـاـ وـتـحـذـيرـهـاـ مـنـهـاـ.

وـمـنـ لـوـازـمـ الصـدـقـ فـيـ التـرـبـيـةـ إـعـادـ الـمـناـهـجـ الـكـرـيمـةـ الـمـسـتـمـدـةـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ ، وـفـهـمـ الـصـاحـابةـ

وـفـقـهـ الـوـاقـعـ الـذـيـ تـعـيـشـهـ الـأـمـةـ ، فـعـلـىـ الـمـسـؤـولـيـنـ عـنـ مـنـاهـجـ الـتـعـلـيمـ فـيـ الـمـجـتمـعـاتـ الـمـسـلـمـةـ أـمـانـةـ

عـظـيـمـةـ وـتـبـعـةـ ثـقـيـلـةـ ، فـلـيـصـدـقـواـ مـعـ اللهـ عـزـ وـجـلـ فـيـ أـمـةـ مـحـمـدـ صـ وـأـبـنـائـهـ ، فـلـاـ يـخـتـارـواـ إـلـاـ مـاـ فـيـهـ

الـخـيـرـ وـالـإـصـلـاحـ وـتـنـشـئـةـ الـأـجـيـالـ عـلـىـ الـعـقـيـدـةـ الـحـقـةـ وـالـأـخـلـاقـ السـامـيـةـ ، وـأـنـ يـرـدـواـ وـيـسـقطـواـ كـلـ مـاـ

مـنـ شـائـهـ إـفـسـادـ الـعـقـيـدـةـ وـالـأـخـلـقـ وـالـأـفـكـارـ وـالـهـمـ ، فـنـحـنـ أـمـةـ ذـاتـ رـسـالـةـ عـظـيـمـةـ خـالـدـةـ يـنـبـغـيـ لـلـنـاشـئـةـ

أـنـ يـدـرـكـواـ رـسـالـةـ أـمـتـهـ ، وـأـنـهـ خـيـرـ أـمـةـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ.

أـيـهـ الـمـرـبـونـ مـنـ آـبـاءـ وـمـعـلـمـيـنـ: إـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ سـائـلـكـمـ عـماـ اـسـتـرـعـاـكـمـ فـأـعـدـواـ لـلـسـؤـالـ جـوابـاـ ((وـاتـقـواـ

يـوـمـ تـرـجـعـونـ فـيـهـ إـلـىـ اللهـ)) [البـقرـةـ: ٢٨١] تـذـكـرـواـ أـثـرـ الـعـلـمـ الـطـيـبـ ، وـالـسـنـةـ الـحـسـنـةـ حـيـنـ تـسـرـيـ فـيـ

الـأـمـةـ وـيـنـتـشـرـ الـخـيـرـ بـسـبـبـهـاـ ، فـتـنـالـواـ أـجـرـ ذـلـكـ عـنـ كـلـ مـنـ تـأـثـرـ بـهـ ، وـالـعـكـسـ بـالـعـكـسـ وـالـعـيـاذـ بـالـلـهـ تـذـكـرـواـ

أـثـرـ الـعـلـمـ السـيـءـ وـالـسـنـةـ السـيـئـةـ حـيـنـ تـسـرـيـ فـيـ أـبـنـاءـ الـأـمـةـ وـيـتـرـبـونـ عـلـيـهـاـ فـسـتـالـواـ وـزـرـ ذـلـكـ وـوـزـرـ

مـنـ تـأـثـرـ بـهـ نـعـيـذـكـ بـالـلـهـ مـنـ هـذـاـ مـالـ ، وـهـذـاـ مـصـدـاقـ قـوـلـهـ حـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ «ـمـنـ سـنـ فـيـ

الـإـسـلـامـ سـنـةـ حـسـنـةـ فـلـهـ أـجـرـهـ وـأـجـرـ مـنـ عـلـمـ بـهـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـنـقـصـ مـنـ أـجـورـهـمـ شـيـئـاـ ، وـمـنـ سـنـ سـنـةـ

سـيـئـةـ فـعـلـيـهـ وـزـرـهـاـ وـوـزـرـ مـنـ عـلـمـ بـهـاـ»ـ(٣ـ).

وـمـنـ لـوـازـمـ الصـدـقـ فـيـ التـرـبـيـةـ: أـنـ يـرـبـطـ الـأـبـنـاءـ وـالـطـلـابـ فـيـ حـيـاتـهـمـ بـالـأـهـدـافـ الـعـالـيـةـ الـنـبـيـلـةـ،

وـلـاـ يـرـبـطـونـ بـالـتـوـافـهـ مـنـ الـأـمـورـ وـالـأـهـدـافـ الـهـابـطـةـ لـأـنـ النـظـرـةـ السـائـدـةـ الـيـوـمـ فـيـ أـكـثـرـ بـيـوتـ

الـمـسـلـمـيـنـ وـمـارـسـهـمـ: أـنـ طـلـبـ الـعـلـمـ قـدـ رـبـطـ بـالـمـصـلـحـةـ الـدـينـيـةـ ، وـأـنـهـاـ وـسـيـلـةـ لـلـعـيـشـ وـلـاـ يـوـجـدـ فـيـ جـوـ

الـمـنـزـلـ أـوـ جـوـ الـمـدـرـسـةـ إـلـاـ مـنـ رـحـمـ اللـهـ مـنـ يـقـولـ لـلـمـتـرـبـيـ إنـ لـكـ أـمـةـ تـنـتـظـرـكـ ، وـأـنـ لـكـ دـورـاـ

يـنـتـظـرـكـ فـيـ الدـعـوـةـ إـلـىـ التـوـحـيدـ وـهـدـيـةـ الـنـاسـ بـإـذـنـ اللـهـ تـعـالـىـ وـالـجـهـادـ فـيـ سـبـيلـهـ عـزـ وـجـلـ وـالـذـودـ

عـنـ حـمـىـ الـأـمـةـ وـعـقـيـدـتـهـاـ، إـنـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ التـرـبـيـةـ قـلـيلـ، فـعـلـىـ الـمـرـبـينـ الـصـادـقـيـنـ مـعـ رـبـهـمـ سـبـحـانـهـ

أـنـ يـحـيـوـاـ هـذـهـ الـمـعـانـيـ عـنـ إـخـوـانـهـ الـمـرـبـيـنـ وـيـصـبـغـوـاـ بـهـاـ الـمـنـاهـجـ الـمـعـدـةـ لـذـلـكـ، وـيـنـشـرـوـهـاـ فـيـ صـفـوفـ

أبنائهم وطلابهم حتى يخرج جيل قوي متماسك يشعر بانتمائه لهذا الدين، ويشعر بمسؤوليته ليتولى هو بدوره إكمال الطريق، وتربيّة الأجيال التي تأتي بعد ذلك.

وبقيت كلمة أخيرة أوصي بها نفسي وإخواني الآباء، ألا وهي الصدق مع الله سبحانه في جعل البيت محضناً من محاضن التربية الكريمة للأبناء والبنات والإخوان والأخوات والزوجات، وذلك بعمارته بذكر الله عز وجل وجود القدوة الصالحة، وتطهيره من أسباب الرجس والفساد، فكلّم راعٍ ومسؤول عن رعيته.. إن العجب كل العجب من أناس أنعم الله عليهم بنعمة الأموال والأولاد، ثم هم يخربون بيوتهم بأيديهم ويلقون بأنفسهم وأهليهم إلى النار، والله تعالى يقول: ((يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقدها الناس والحجارة)) [التحريم: ٦].

إن أحدنا لو رأى ابنه أو ابنته أو أخيه أو أخته أو زوجته يتعرض أحدهم لهلاك في الدنيا بحريق أو غرق أو سقوط من شاهق، لهب مسرعاً لإنقاذه وإن لم يكن قريباً منه صاح به محذراً من السقوط في المهلكة، وإن الله سبحانه يحذرنا من نار تلظى لا تأتي نار الدنيا عندها إلا جزءاً من سبعين جزء منها ومع ذلك لا يتحرك الكثير منا في إنقاذ نفسه وأهله منها ((قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفهون)) [التوبه: ٨١].

الرسالة الرابعة إلى الإعلاميين في هذه الأمة:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به عباده المؤمنين سبحانه عز من قائل: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبه: ١١٩].

أيها المؤمنون من إعلامي هذه الأمة: إني أخاطب فيكم عقيدتكم الإسلامية، التي تحملونها بين جوانحكم التي تحدد هويتكم بين بني البشر وترفع رؤوسكم بين بني الإنسان ، أخاطب فيكم غيرتكم الإسلامية ومرءوئتكم العربية ، وأخلاقكم العريقة التي تميز المسلم عن غيره، أخاطب فيكم الأمانة العظيمة التي حملكم الله إياها من خلال مسؤولياتكم الخطيرة التي تتولونها أخاطب فيكم المسؤولية التي أناطتها الأمة بكم لتربوا أبناءها على الإيمان الصادق والعفة والطهارة والعزة والكرامة.

أيها الإعلاميون المؤمنون على عقيدة الأمة وأخلاقها: اصدقوا مع ربكم سبحانه في الوفاء بما عهد إليكم ((أوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْوِلًا)) [الإسراء: ٣٤] ، ((وَلَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الأنفال: ٢٧].

واصدقوا مع أمتك المسلمة التي أمنتكم دينها وأعراضها وعقولها وأفكارها ، فلا تخونوا أمتك ، وكونوا عند حسن ظنها بكم.

إن إعلام أي أمة يعبر عن عقيدتها وهويتها ، وإذا أردنا أخذ صورة سريعة عن أي أمة أو مجتمع ، فلننظر إلى إذاعتها وتلفازها وصحفها وما ينشر فيها فإن ذلك يدلنا على ما يقوم عليه هذا المجتمع من عقيدة وأخلاق.

إن لكل أمة هوية ، فأين هويتنا الإسلامية في في كثير من إعلام دولنا؟!

إن الإسلام ليس كلمة فحسب ، ليس عقيدة مستكنة في القلب فحسب بل الإسلام هو الاستسلام لله عز وجل وحده في جميع شؤون الحياة ، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)) [البقرة: ٢٠٨].

هذا هو الإسلام الذي جاء من عند الله عز وجل ، وإن الناظر في إعلام المجتمعات المسلمة اليوم ليرى ازدواجية وانحرافاً ، وهذا يعني أحد أمرين:

١- أن يكون هناك جهل بحقيقة هذا الدين ، وأنه بالإمكان أن يكون المرء مسلماً بقلبه ولسانه فقط ثم يفعل بعد ذلك ما يشاء ويعمل ما يحلو له أن يعمل مadam أنه ينطق الشهادتين ، فالهوية التي

يحملها هي الإسلام وهذه عقيدة المرجئة التي أفسدت في الأرض ودخل من خلالها العلمانيون الذين يفصلون الدين عن الحياة، ويجعلونه عقيدة مستكنة في الضمير وبين جدران المساجد فحسب!!
٢- أو أن حقيقة الدين ومفهومه الواسع واضحة في أذهان القوم ، ولكنهم آثروا الحياة الدنيا ومناصبها وزخرفها على مرضاة الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة ، فاشتروا الحياة الدنيا الفانية بالدار الآخرة الباقية فما أشد خسارتهم وأكبد تجارتهم ، ألا ذلك هو الخسارة المبين.

ثم ماذا سيكون جوابك إذا حاكمتك الأمة بأسرها على ما قدمت لها من كلمة مسمومة أو مرئية أو مقروءة يوم تكون سبباً في إضلal أبنائها ، أناشدك بما معك من الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا تغفل عن هذا اليوم الرهيب ، فوالله إنه لقريب: ((وما يدرك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي شقاق بعيد)) [الشورى: ١٨].

وبعد: هذا ما يسر الله سبحانه كتابته حول هذا الموضوع، عسى الله أن ينفع به كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

الهوامش:

(١) سير أعلام النبلاء ٢٤١/١١.

(٢) طريق الدعوة ، ج ١ ، ص ٩٦.

(٣) صحيح مسلم (كتاب الزكاة ح ١٠١٧)

سيصدر هذا الموضوع بحلقاته السابقة مع زيادات في رسالة مستقلة إن شاء الله في الحلقة السادسة من «دراسات تربوية في ضوء القرآن للكاتب»

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

-٤-

د. محمد بن عبد الله الشباني

في الحلقة السابقة ناقشنا علاقة التوزيع بعناصر الإنتاج ، وبالتحديد دور عنصر العمل باعتباره أهم عناصر الإنتاج تأثيراً في وجود المشكلة الاقتصادية وكيفية معالجة الإسلام لعنصر العمل من ناحية أهميته النسبية من العملية الإنتاجية ، وفي هذه الحلقة سوف نتطرق إلى مناقشة عنصر الموارد الطبيعية باعتباره عنصراً من عناصر الإنتاج وعلاقة هذا العنصر بتوزيع الدخل القومي وتأثيره على بروز المشكلة الاقتصادية ، ومعالجة الإسلام لهذا العنصر من عناصر الإنتاج.

يقصد بالموارد الطبيعية وفقاً للمفهوم الاقتصادي: كل ما على سطح الأرض من تربة وبحار وأنهار، وما فوقها من ضوء ورياح، وما في جوفها من ثروات معدنية ، إن هذا العنصر من عناصر الإنتاج هو مجال الاستغلال وهو الذي يمارس الإنسان دوره فيه من خلال العمل للاستفادة مما أودع الله في أرضه وسمائه من رزق لسد حاجات الإنسان.

الموارد الطبيعية والاقتصاد:

وعلقة الموارد الطبيعية بالمشكلة الاقتصادية تتمثل في مدى الاستفادة مما في الأرض من خيرات ، وتحريك بقية عناصر الإنتاج لاستغلال هذه الموارد. إن عدم استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بأسلوب اقتصادي سليم يحقق النفع العام وتيسير حاجات الأفراد يساعد على بروز المشكلة الاقتصادية، فأهمال الموارد الطبيعية وعدم استغلالها يؤدي إلى تعطل بقية عناصر الإنتاج الأخرى مما يساعد على تفاقم المشكلة الاقتصادية كما أن أسلوب الاستغلال للموارد الطبيعية وعدم مراعاة التوازن عند الاستغلال يؤدي إلى استنزاف الموارد أو إهدارها وبالتالي تفاقم المشكلة الاقتصادية أيضاً.

قواعد وضوابط:

لقد وضع الإسلام قواعد وأرشد إلى مناهج في كيفية استغلال الموارد الطبيعية بالشكل الذي يخدم اقتصاديات المجتمع ، ويحقق التوازن في استغلال الموارد الطبيعية ، ويزيل ويعيد الوسائل المسيبة لإهدار الموارد مما يقلل من تأثير عنصر الموارد الطبيعية في تفاقم المشكلة الاقتصادية. وترتکز القواعد التي عالج بها الإسلام عنصر الموارد الطبيعية على نظرته بأن ما في السموات والأرض قد سخر لمصلحة الإنسان ومعشه ، وأن على الإنسان أن يبذل طاقته للاستفادة مما وبه الله من موارد خلقت لتوفّر احتياجات الإنسان المادية ، ويمكن تحديد القواعد التي يأمر الإسلام ببنائها عند معالجته لعنصر الموارد الطبيعية في الأمور التالية:

أولاً: الحث على استغلال الموارد المعطلة بتوجيهه ولاة أمر المسلمين بالتدخل بوضع القواعد والضوابط المؤدية إلى استغلال الموارد المعطلة فقد روى أبو داود عن عبيدة بن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عامر الشعبي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: «من وجد دابة قد عجز عنها أهلها أن يعلوها فسيبوها فأخذها فأحياها فهي له»^(١) ، وهذا الحديث يرشد إلى عدم ترك الموارد المعطلة بدون استغلال ، وإن للمجتمع المسلم الحق في التدخل في استغلال هذه الموارد

المعطلة حتى ولو كانت ملكيتها ملكية فردية ، وعلى ضوء هذا الحديث يمكن أن تقوم الدولة المسلمة بوضع القواعد الإجرائية فيما يتعلق بالمنشآت الصناعية، أو الزراعية، أو غيرها من الأصول الثابتة المنتجة عند عجز ملاكها عن تشغيلها؛ لأن هذا الإجراء سوف يؤدي إلى التقليل من تفاقم المشكلة الاقتصادية وذلك باستمرارية الإنتاج واستغلال القوى العاملة في هذه المشاريع وعدم تعطليها، وبالتالي الحد من إهدارها، وحقيقة المشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي تكمن في عجز الدول الإسلامية عن ممارسة دورها في استغلال الموارد الطبيعية، بل إن إهدار الموارد الطبيعية هو السمة البارزة في الممارسات الاقتصادية لمعظم الدول الإسلامية.

ثانياً: منح الامتياز إذا وجدت علاقة ما بين الموارد الطبيعية وحاجة الناس لفئة من فئات المجتمع على حساب الفئات الأخرى: فالموارد الطبيعية التي يحتاج إليها الناس وهي ميسرة وفي متناول الجميع لا يحق لشخص امتلاكه وليس للدولة إعطاء حق الامتياز لشخص أو فئة وبالتالي احتكار منافعها، فحبس مورد طبيعي يحتاج إليه الناس وجعله في أيدي فئة معينة من الناس من الأمور المسببة لوجود المشكلة الاقتصادية سواءً بتعطيل الاستفادة من هذا المورد أو من خلال احتكاره وحرمان فئات من الناس من الاستفادة منه لعدم قدرتهم على دفع الثمن المطلوب لقاء حق الامتياز أو الإقطاع، ولكن حق منح الامتياز والإقطاع موكول إلىولي الأمر ضمن احتياج المورد الطبيعي حتى يمكن استغلاله، أي أن المورد الطبيعي بطبيعته التي خلقها الله عليها يحتاج إلى جهد ومال

للاستفادة منه، منع الامتياز إنما يعود إلى الموارد الطبيعية الظاهرة التي يمكن لجميع الناس الاستفادة منها مثل الملح أو الكلأ أو التراب أو الرمال وغير ذلك من الأمور الظاهرة على وجه الأرض، التي يمكن للناس الاستفادة منها مباشرة، وقد أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن

ما جه عن ثابت بن سعيد عن جده أبيض بن حمال: «أنه استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم - الملح الذي يقال له ملح سد بمارب فأقطعه له ، ثم إن الأقرع بن حابس التميمي أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إني قد وررت على الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس بها ملح ومن ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذ ، فاستقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-أبيض بن حمال في قطبيعة في الملح فقال أبيض: قد أفلتك منه على أن تجعله مني صدقة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو منك صدقة، وهو مثل الماء العذ من ورده أخذه»^(٢). وروي ابن ماجة بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون شركاء في ثلاثة في الماء والكلاء والنار وثمنه حرام»^(٣) وفي رواية أخرى لابن ماجة بسنده عن أبي هريرة «ثلاث لا يمنع الماء والكلاء والنار»^(٤) ، فمن جملة هذه الأحاديث يتضح مراعاة حاجة الناس الظاهرة البارزة للمورد الطبيعي، وأن الحاجة العامة للمورد الطبيعي تمنعولي الأمر من منح امتيازه لأي فئة من الفئات حتى لا يؤدي ذلك إلى إحتكاره والإضرار بالناس والتاثير على عرض هذه المادة التي يستفاد من أخذها من المورد الطبيعي مباشرة، حيث إن منح حق امتياز استغلالها لفئة من الناس أو إقطاعها لفئة من الناس أو لشخص أو لأشخاص سيؤدي إلى قلة العرض، وارتفاع سعرها وعجز الناس عن تملكها مع حاجتهم الماسة إليها وشرائها من محترها الممنوح له حق امتيازها.

ثالثاً: تدخل الدولة المباشر باستغلال الموارد الطبيعية غير المستغلة وفق خطط إنتاجية استثمارية يضعهاولي الأمر وفق الظروف والمعطيات المتوفرة وبأسلوب يدفع أفراد الأمة لاستغلال هذه الموارد الطبيعية المعطلة ، أي أن من السياسات التي يحبذها الإسلام عدم العمل المباشر في استغلال المورد الطبيعي وإنما العمل على تشجيع الأفراد باستغلال مدخلاتهم، وبالتالي المساهمة في حل المشكلة الاقتصادية من خلال قيام الدولة في توفير رأس المال الخاص باستغلال الموارد الطبيعية وتوفير الظروف للقوى العاملة في المساهمة في استغلال هذه الموارد، فقد أخرج البخاري مرسلأ عن قيس بن مسلم عن أبي جعفر قال: «ما بالمدينة أهل بيته إلا يزرعون على الثالث والربع وزارع على وسعد بن مالك وعبد الله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبي بكر وآل عمر وآل علي وابن سيرين ، وقال عبد الرحمن بن الأسود كنت أشارك عبد الرحمن بن يزيد في الزرع ، وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جاؤوا بالبذر فلهم كذا»^(٥)، ومن هذا الحديث ندرك السياسة التوزيعية لعناصر الإنتاج، التي تقوم على العمل على دفع عوامل الإنتاج الأخرى لتحقيق التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج، وتوزيع الدخل القومي بين هذه العناصر لمعالجة جانب الإنتاج في المشكلة الاقتصادية.

رابعاً: استغلال الموارد الطبيعية من خلال تدخلولي الأمر في إعادة توزيع الفائض من الاستغلال عن طريق وضع التنظيمات الخاصة والقواعد المنظمة التي تساعد على الاستفادة من مكونات الناتج القومي مع مراعاة حقوق التملك الخاصة وذلك بالتدخل لتحقيق المصلحة العامة لزيادة الناتج القومي والإقلال من تأثير العناصر المرتبطة بالموارد الطبيعية من التأثير في إيجاد المشكلة الاقتصادية واستفحالها ، ولقد أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام الجوانب في كيفية تحقيق ذلك من خلال التوجيه النبوى للأمة فمن ذلك ما رواه البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ» وفي لفظ ابن ماجه «لا يمنع أحدكم فضل ماء ليمنع به الكلأ»^(٦). كما أوضح الحديث الآخر الذي رواه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن بيع فضل الماء وفي رواية له «لا يمنع فضل الماء ولا يمنع نقع البئر»^(٧) ونفع البئر هو الزائد من مائتها أو المجتمع، فمن هذه الأحاديث يمكن فهم التوجيه النبوى في معالجة الاستفادة منها عند عدم توفر

المياه ، وبالتالي فإنه في حالة وجود بئر مملوكة لفرد فإن عليه أن يمنح الرعاة ما زاد عن حاجته حتى يمكن الاستفادة من الكلأ في المناطق المتاخمة للبئر ، كما قد يفهم أنه في حالة توفر مياه زائدة عن حاجة مالك لبئر ، فإن عليه أن يمنح ما زاد عن حاجته في زراعته إلى الآخرين ومن لا يوجد لديهم الماء ، وهذا يؤدي إلى قيام الأفراد باستغلال الأراضي المجاورة لمن يتتوفر لديه الماء مع مراعاة عدم الإضرار بمالك البئر ، وهذا ينطبق في حالة تعطل وسائل رفع الماء لدى أحد المزارعين مما قد يحتاج إلى ما زاد عن ماء جاره حتى لا يخسر إنتاجه ويمكن القياس على ذلك فيما يتعلق في حالة تعطل مورد من الموارد الطبيعية عن الاستغلال وإمكانية استغلال هذه الموارد ولو بالتدخل في تنظيم استغلال الزائد من الموارد الطبيعية.

الهوامش:

- (١) سنن إبي داود كتاب البيوع ، صحيح سنن أبي داود ح ٣٠٠٩ ج ٢ ص ٦٧ .
- (٢) سنن ابن ماجه كتاب الرهون ، باب إقطاع الأرض والعيون ، ح ٢٤٧٥ ، صحيح سنن ابن ماجه ح ٢٠٠٦ ج ٦٤ ، ٦٥ ، وحسنه الألباني .
- (٣) سنن ابن ماجه كتاب الرهون ، باب (المسلمون شركاء في ثلاثة) ، ح ٢٤٧٢ ، صحيح ابن ماجه ح ٦٤/٢ ح ٢٠٠٤ ، قال الألباني صحيح دون "ثمنه حرام".
- (٤) ابن ماجه، كتاب الرهون، (باب المسلمين شركاء في ثلاثة) ح ٢٤٧٣/٣ ، صحيح ابن ماجه ح ٢٠٠٥ ج ٦٤/٢ .
- (٥) أخرجه البخاري ، كتاب الحرج والمزارعة - باب المزارعة بالشطر ونحوه وأشار ابن حجر إلى أنه موصول من طريق أخرى .
- (٦) البخاري كتاب الأشربة ح ٢٣٥٣ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٩ .
- (٧) أخرجه ابن ماجه كتاب الرهون، باب النهي عن بيع فضل الماء، ح ٢٤٧٩، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه ح ٢٠١٠، ج ٢ ص ٦٥ .

خواطر في الدعوة الفرج بعد الشدة

محمد العبد

هذا العنوان من الكلام المحبب عن الأقدمين، وقد ألفوا فيه الكتب وجمعوا حوله الفصول، تُرى لماذا هذا الاهتمام، وأي باعث للكتابة في هذا الشأن؟ لاشك أن الشدائـد التي لاقاها المسلمون وخاصة ما بعد القرن الرابع هي السبب في هذا، سواءً أكانت شدائـد داخلية من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل، أو كانت خارجية مما أصاب العالم الإسلامي من الغزو الخارجي المدمر، وهذا ما حدا بالقاضي التتوخي أن يكتب المجلدات حول (الفرج بعد الشدة). إن ما ابتلي به المسلمون في السنوات الأخيرة من الحيف الواقع بهم وال الحرب الإعلامية الحادة التي تشن عليهم صباح مساء، ما يجعل هذا العنوان محبباً إلى المسلم المعاصر أيضاً، ويجعله يردد مع الشاعر:

فاصطبر ، وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالت تولت
إننا لا نستطيع الإغراق في التفاؤل، وربما لأن الأمور لم تبلغ مداها بعد وخاصة من جانب الصبر والإعداد المطلوب من المسلم ولكن مما يبشر بخير أن المسلمين رغم الواقع الأليم قد أصبحوا رقمـاً

صعباً في المعادلة السياسية الداخلية والدولية، وعاد بعض أشد الأعداء ليقول: يجب أن نتعالى مع هؤلاء ، ونفك بطريقة عقلانية للتفاهم معهم... وشيء آخر وهو هذه الحرب الإعلامية التي نرى فيها السُّمّ الناقع ، لهي دليل على تعاظم قوة الإسلام وشعور الأعداء بالخطر من جهته. عندما يستطيع المسلمون الوصول إلى نقطة (الحرج) مع أعدائهم، فمعنى هذا أن كفة الميزان بدأت تميل لصالحهم، فكفار مكة عندما شعروا بالخطر بدأوا بوضع العرافق أمام هجرة المسلمين، فمرة يحجزون أموالهم، ومرة يحجزون زوجاتهم وأولادهم، ودبروا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم- أو إخراجه أو سجنه ، وعندما علموا بهجرته تشنجت أعصابهم ووضعوا الجوائز لمن يأتي به حياً أو ميتاً ولكن من رحمة الله بعباده أن لا يوصلهم إلى مرحلة اليأس والطريق المسدود ، فيذلوا وينكسروا ، وقد قال تعالى: ((إن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) [الشرح: آية ٦] ، وقد جاء في تفسيرها: لن يغلب عسر واحد يسرين، ومن ظن أن الله يسلط أعداءه على رسليه تسليطاً دائماً، فقد ظن ظن السوء، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله، فهل يتقدم المسلمين خطوة أو خطوات حتى يستحقوا (الفرج بعد الشدة) وينطبق عليهم قوله تعالى: ((وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجكم من أرضنا أو لتعودن في ملتانا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيده)) [ابراهيم: ١٣-١٤].

دراسات تاريخية
عبد الله بن سبا
في ميزان البحث العلمي
- ١ -

د. محمد أمحزون
تمهيد:

موضوع « عبد الله بن سبا والسببية » أحد الأبحاث التي تطرق إليها بالدراسة الكثير من الباحثين من المسلمين والمستشرقين ، ومن أهم الدراسات في هذا الباب بحث الدكتور سليمان بن حمد العودة بعنوان « عبد الله بن سبا وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام » وبحث « عبد الله بن سبا بين الحقيقة والخيال » د. سعدي الهاشمي ، وبحث الأستاذ أحمد عرفات القاضي بعنوان « إنكار ابن سبا نقش على الماء » (١).

و هذه الدراسة للدكتور (محمد أمحزون) مناقشة بحث جديد حول الموضوع نفسه لباحث لم يأت بجديد وإنما هو نقل عن الباحثين حول تلك الشخصية، والنقد (الكاتب) أحد المتخصصين في دراسة التاريخ ، وعضو هيئة التدريس في جامعة « مكناس » بالمغرب (قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية).

-بيان-

هذه الدراسة نقد للبحث الذي نشره د. عبد العزيز الهلبي أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الملك سعود، في حلقات كلية الآداب الكويتية عن عبد الله بن سبا، تدخل في مجال اهتمامات التاريخ الإسلامي، وقد قام فيه المؤلف بتحليل روايات الإخباري سيف بن عمر التميمي عن دور عبد الله بن سبا في إحداث الفتنة الواقعة في خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهمما حيث انتهى بحثه إلى أن

تلك الروايات مختلفة ولا أساس لها من الصحة!! ثم أورد النصوص عن «السبئية» في بعض المصادر المتقدمة فأوضح أنه من خلال استخدامها في تلك المصادر لا تعني جماعة لها عقيدة دينية أو مذهب سياسي محدد، وأنها أطلقت على أناس مختلفين، وكان يقصد بها في كل الأحوال الذي والتعبير ، وبعد أن ناقش أقوال الباحثين المعاصررين وآراءهم من عرب ومستشرقين خلص في بحثه إلى أن ابن سبأ شخصية وهمية، وأن الدور المنسوب إليه في إثارة الأحداث وتسييرها دور مزعوم. إن هذا البحث الذي كتبه د. الهلابي يعتبر أحدث دراسة مستقلة أفردت عن عبد الله بن سبأ ولذلك أحبت إبداء بعض الملحوظات حول الآراء التي تبناها حيث نفي في بحثه وجود تلك الشخصية، وأن ابن سبأ في رأيه لا يعدو أن يكون مجرد خرافية سطرتها كتب التاريخ والفرق !! ومن الملحوظات على هذه الدراسة ما يلي:

أولاً سيف بن عمر لم ينفرد بالرواية:

يقول د. الهلابي في ص(١٣) من بحثه: «ينفرد الإخاري سيف بن عمر التميمي من بين قدامى الإخباريين والمؤرخين بذكر تلك الشخصية في روایاته ، ويجعل له دوراً رئيساً في التحرير على الفتنة، وقتل الخليفة عثمان وإنشاب القتال في معركة الجمل في البصرة»(٢).

في الواقع أن سيف بن عمر لم يكن المصدر الوحيد الذي استأثر بأخبار عبد الله بن سبأ ، بل ورد ذكر أخبار ابن سبأ وطائفته منقولة عن علماء متقدمين ورواية غير سيف بن عمر مثل:

* سويد بن غفلة أبو أمينة الجعفي الكوفي المتوفى عام (٨٠ هـ/٦٩٩ م) ، محضر ثقة، من أصحاب علي رضي الله عنه(٣) جاء في «طوق الحمام» لحيي بن حمزة الزيدبي وفي «اللفظ» للبرقاني أنه دخل على علي في إمارته فقال: «إنى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضرر لهما مثل ذلك ، منهم عبد الله بن سبأ ، فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضرر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى ابن سبأ فسّيره إلى المدائن ، ونهض إلى المنبر حتى إذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيراً ، ثم قال: أو لا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفترى(٤).

* زيد بن وهب الجهنمي أبو سليمان الكوفي المتوفى قبل عام (٩٠ هـ/٧٠٩ م) ، روى عن علي بن أبي طالب ، وهو من جلة التابعين ، متفق على الاحتجاج به ، أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عنه قال: «قال علي بن أبي طالب: مالي ولهذا الخبيث الأسود ، يعني عبد الله بن سبأ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر»(٥).

* إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه الثقة المتوفى عام (٩٦ هـ/٧١٤ م)(٦). روى ابن سعد في «طبقاته» أن رجلاً كان يأتيه فيتعلم منه ، فيسمع قوماً يذكرون أمر علي وعثمان، فقال: أنا أتعلم من هذا الرجل وأرى الناس مختلفين في أمر علي وعثمان، فسأل إبراهيم النخعي عن ذلك فقال: «ما أنا بسبائي ولا مرجئ»(٧).

* الشعبي عمر بن شراحيل الحميري اليمني المتوفى عام (١٠٣ هـ/٧٢١ م) ، من رواة الأنساب والأخبار الثقات(٨). أخرج عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» قال: «أول من كذب عبد الله بن سبأ»(٩).

* سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني المتوفى عام(١٠٦ هـ/٧٢١ م)، كان أحد فقهاء التابعين ، ثبتاً فاضلاً (١٠) ، روى يعقوب بن سفيان الفسوبي في كتابه «المعرفة والتاريخ» قال: «قال أبو الوليد: سألني سالم بن عبد الله بن عمر: من أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: بئس القوم بين سبائي وحروري» (١١).

* أبو الطفيلي عامر بن واثلة الليثي الصحابي المعمر المتوفى عام (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ، روى عن علي بن أبي طالب ، قال فيه الحافظ الذهبي: وبه ختم الصحابة في الدنيا (١٢). أخرج ابن عساكر عنه قال: «رأيت المسيب بن نجدة أتى به ملبيه ، يعني ابن السوداء ، وعلى على المنبر ، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله (١٣).

* حُجَّيَّةُ بْنُ عَدِيِّ الْكَنْدِيُّ أَبُو الزَّعْرَاءِ الْكُوفِيُّ ، روى عن علي وجابر وهو من الطبقة الثالثة (١٤). ذكر ابن عساكر عنه أنه رأى علياً على المنبر ، وهو يقول: من يعذرني من هذا الحميـت الأسود الذي يكذب على الله ورسوله يعني ابن السوداء (١٥).

* أبو الجلاس الكوفي ، روى عن علي بن أبي طالب ، من الطبقة الثالثة (١٦). نقل ابن عساكر عنه قال: «سمعت علياً يقول لعبد الله بن سباء: ويلك! والله ما أفضي إلي بشيء كتمته أحداً من الناس ، ولقد سمعته يقول: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإنك لأحدهم (١٧).

* قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى عام (١١٧ هـ / ٧٣٥ م) ، من ثقات التابعين وحافظهم ، روى عن أبي الطفيلي وأنس بن مالك ، كان آية في الحفظ والرواية (١٨). نقل الإمام الطبرى فى تفسير قوله: «وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ...)) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسببية فلا أدرى» (١٩).

* أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى عام (١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) (٢٠). نقل الإمام الطبرى عنه في «تاريخه» رواية يصف فيها أشراف أهل الكوفة لخصومهم من أصحاب المختار بالسببية (٢١).

ثانياً الموهوم لا يدفع المعلوم:

يقول المؤلف: «لا أعلم فيما اطلعت عليه من المصادر المتقدمة أي ذكر لعبد الله بن سباء عند غير سيف بن عمر سوى رواية عند البلاذري» (٢٢).

إن المصادر المتقدمة التي اطلع عليها د. الهلابي إذا كانت أغفلت موضوع ابن سباء والسببية ، فلا يعني ذلك بالضرورة أنه شخصية خرافية، إذ إن عدم ذكرها له لا يقوم دليلاً على الإنكار أو التشكيك ، فهل استوعبت تلك المصادر كل أحداث التاريخ الإسلامي حتى نقف وقفة المنكر أو المتشكك إذا لم تذكر شيئاً عن ابن سباء؟! وهل من شروط صحة الرواية التاريخية تضافر كل كتب التاريخ على ذكرها؟! ثم هل نسي د.الهلابي أن المصادر القديمة ضاع كثير منها فأصبحت مفقودة أو في حكم المفقود ، حيث ضاع كثير من مؤلفات الزهري وابن إسحاق والواقدي والمدائني وابن شبه والأصممي والهيثم بن عدي وعروة بن الزبير وغيرهم، إلا ما استوعبته بعض المصنفات الموسوعية كتاريخ الطبرى مثلاً؟

ومن هنا ينبغي الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقق للخروج من الشبهات والتوجهات ، إذ إن الموهوم لا يدفع المعلوم ، و المجهول لا يعارض المحقق فشخصية ابن سباء وجماعته حقيقة تاريخية يتحقق عليها كثير من المصادر المتقدمة غير البلاذري.

جاء ذكر السببية على لسان أعشى همدان المتوفى عام (٨٣ هـ / ٧٠٢ م) وقد هجى المختار وأنصاره من أهل الكوفة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سببية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف (٢٣)

وجاء ذكر السببية في كتاب «الإرجاء» للحسن بن محمد بن الحنفية المتوفى عام (٩٥ هـ / ٧١٣ م) ، الذي أمر بقراءته على الناس وفيه: «... ومن خصومة هذه السببية التي أدركنا ، إذ يقولون هدينا لوحى ضل عنه الناس» (٢٤).

وفي الطبقات لابن سعد المتوفى عام (٤٤ هـ / ٨٤٤ م) ورد ذكر معتقدات السببية وأفكار زعيمها، فعن عمرو بن الأصم قال: قيل للحسن بن علي: إن أنساً من شيعة أبي الحسن علي عليه السلام

يزعمون أنه دابة الأرض، وأنه سيبعث قبل يوم القيمة، فقال كذبوا، ليس أولئك شيعته أولئك أعداؤه، لعلنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نسائه...» (٢٥). علمًا بأن ما ذكر في هذا النص لا يخرج عما جاء به ابن سباء من آراء، وأكده علماء الفرق والنحل والمؤرخون في كتبهم (٢٦).

وتحدث ابن حبيب المتوفى عام (٤٥٢ هـ / ٨٦٠ م) عن ابن سباء حينما اعتبره أحد أبناء الحشيشيات (٢٧)، كما روى أبو عاصم خشيش بن أصرم المتوفى عام (٥٣٢ هـ / ١٥٩٤ م) خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سباء في كتابه «الاستقامة» (٢٨).

وفي «البيان والتبيين» للجاحظ المتوفى عام (٥٥٢ هـ / ١٦٨١ م) رواية تشير إلى عبد الله بن سباء (٢٩)، كما ذكر الجوزجاني المتوفى عام (٥٩٢ هـ / ١٧٣٨ م) وهو من علماء الجرح والتعديل، أن من مزاعم عبد الله ادعاءه أن القرآن جزء من تسعه أجزاء، وعلمه عند علي، وأن علياً نفاه بعد ما كان هم به (٣٠).

ويقول ابن قتيبة المتوفى عام (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) في «المعارف»: «السببية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سباء» (٣١).

ويذكر البلاذري المتوفى عام (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ابن سباء في جملة من أتوا إلى علي رضي الله عنه يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر ، فقال لهم: أوفرتم لهذا؟ وحينما كتب علي الكتاب الذي أمر بقراءته على أنصاره كان منه عند عبد الله بن سباء نسخة عنه فحرّفها» (٣٢).

وأورد الناشيء الأكبر المتوفى عام (٩٠٥ هـ / ٢٩٣ م) عن ابن سباء وطائفته ما يلي: «وفرقة زعموا أن علياً عليه السلام هي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصابه، وهؤلاء هم السببية أصحاب عبد الله بن سباء، وكان عبد الله بن سباء رجلاً من أهل صناعة، يهودياً... وسكن المدانين» (٣٣).

ثالثاً السببية في المصادر وليس للذم والتعير فقط:

بعد أن ذكر المؤلف نصوصاً نثرية وشعرية ورد فيها ذكر السببية، قال: «وبناءً على هذا فلا يمكن الاستنتاج من النصوص السابقة أن السببية تعني فئة لها هوية سياسية معينة، أو مذهب عقائدي محدد، ولكن المؤكد أنها عندما تطلق على قوم يقصد بها الذم والتعير» (٣٤).

إن هذا الاستنتاج للباحث لا يخلو من المغالطة والتمويه، فهو يحاول جاهداً التشكيك في السببية إلى حد جعله يتأنلها مجرد كلمة تستعمل للسب والذم!!

إني لأكاد أدهش حين يقول ذلك، وهو نفسه يذكر نصاً شعرياً للفرزدق (٣٥) فيه إشارة واضحة إلى ابن سباء اليهودي الأصل، الهمданى اليمنى المنشأة.

تعرف همدانية سببية وتكره عينيها على ما تنكر
ولو أنهم إذا نافقوا كان منهم يهوديهم كانوا بذلك أعزرا

على أن وجود عبد الله بن سباء وارتباط السببية به مما أطبقت عليه المصادر، فذكرته كتب التاريخ والحديث والطبقات والرجال والأنساب والأدب واللغة ، وجزم بذلك علماء الفرق والمقالات. فقد نقل القمي المتوفى عام (٣٠١ هـ / ١١٣ م) أن عبد الله بن سباء أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم وادعى أن علياً أمره بذلك (٣٦).

وأما الإمام الطبرى المتوفى عام (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) فقد أفاد فى تاريخه فى ذكر أخبار ابن سباء ومكائدہ معتمداً على روایات الإخباري سيف بن عمر التميمي عن شيوخه (٣٧).

ويتحدث النوبختي المتوفى عام (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) عن أخبار ابن سباء فيذكر أنه لما بلغ نعي علي بالمدائن قال للذى فعله: كذبت لو جئتني بدماغه فى سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض (٣٨).

ويقول أبو حاتم الرازبي المتوفى عام (٩٣٣هـ/١٣٢٢م) أن عبد الله بن سباً ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله، وأنه يحيى الموتى وادعوا غيبته بعد موته (٣٩).

وأكَدَ ابن عبد ربه المتوفى عام (٩٣٩هـ/١٣٢٨م) أن ابن سباً وطائفته السبئية قد سلكوا مسلك الغلو في علي حينما قالوا هو الله خالقنا، كما غلت النصارى في المسيح بن مريم (٤٠).

ويذكر أبو الحسن الأشعري المتوفى عام (٩٤١هـ/١٣٣٠م) عبد الله بن سباً وطائفته من ضمن أصناف الغلاة، إذ يزعمون أن علياً لم يمت، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيماً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً (٤١).

وروى الكشي المتوفى عام (٩٥١هـ/١٣٤٠م) بسنته إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: إن عبد الله بن سباً كان يدعى النبوة، ويُزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، كما روى بسنته إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سباً فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً، ماله لعنه الله»(٤٢).

ويقول ابن حبان المتوفى عام (٩٦٥هـ/١٣٥٤م): «وكان الكلبي محمد ابن السائب الإخباري سبئياً من أصحاب عبد الله بن سباً، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها» (٤٣).

ويقول المقدسي المتوفى عام (٩٦٥هـ/١٣٥٥م) في كتابه «البداء والتاريخ»: إن عبد الله بن سباً قال عندما بلغه موت علي بن أبي طالب: لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه (٤٤).

ويكشف الملطي المتوفى عام (٩٨٩هـ/١٣٧٧م) عن عقيدة السبئية فيقول: «ففي عهد علي رضي الله عنه جاءت السبئية إليه وقالوا: أنت أنت! قال: من أنا؟ قالوا: الخالق الباريء، فاستتابهم فلم يرجعوا فأودع لهم ناراً عظيمة فأحرقهم» (٤٥).

ويذكر كبير محدثي الشيعة ابن بابويه القمي المتوفى عام (٩٩١هـ/١٣٨١م) موقف ابن سباً وهو يعرض على علي رضي الله عنه في رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء (٤٦).

وفي «مفتاح العلوم» للخوارزمي المتوفى عام (٩٩٧هـ/١٣٨٧م): «السبئية أصحاب عبد الله بن سباً» (٤٧).

وذكر البغدادي المتوفى عام (٤٩٩هـ/١٠٣٧م) أن فرقة السبئية أظهروا دعوتهم في زمان علي رضي الله عنه فأحرق قوماً منهم ، ونفي ابن سباً إلى سبات المدائن ، إذ نهاد ابن عباس رضي الله عنهما عن قتلها حينما بلغه غلوه فيه ، وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا يختلف عليه أصحابه ، لاسيما وهو عازم على العود إلى قتال أهل الشام (٤٨).

وقال أبو جعفر الطوسي المتوفى عام (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) إن ابن سباً رجع إلى الكفر وأظهر الغلو (٤٩).

ويقول الاسفرايني المتوفى عام (٤٧١هـ/١٠٧٨م) إن ابن سباً قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك، فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي (٥٠).

ويتحدث الشهريستاني المتوفى عام (١٥٣هـ/١٠٥٤م) عن ابن سباً فيقول: «ومنه انشعبت أصناف الغلاة» (٥١). ويقول أيضاً: إن ابن سباً أول من أظهر القول بالنصر بإمامية علي» (٥٢).

كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سباً ، ومنها كتاب الأنساب للسمعاني المتوفى عام (٥٦٢هـ/١١٦٧م) (٥٣).

وعرف ابن عساكر المتوفى عام (٥٧١هـ/١١٧٦م) ابن سباً بقوله: «عبد الله بن سباً الذي تنسب إليه السبئية ، وهم الغلاة من الرافضة ، أصله من اليمن ، كان يهودياً وأظهر الإسلام» (٥٤).

وفي الباب في تهذيب الأنساب «يذكر ابن الأثير المتوفى عام (١٢٣٢هـ/١٢٣٠م) ارتباط السببية من حيث النسبة بعد الله بن سباء» (٥٥).

وذكر ابن أبي الحميد المتوفى عام (١٢٥٧هـ/١٢٥٥م) في «شرح نهج البلاغة ما نصه: «فَلَمَا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَظْهَرَ أَبْنَ سَبَأً مَقَالَتِهِ وَصَارَتْ لَهُ طَائِفَةٌ وَفِرْقَةٌ يَصْدِقُونَهُ وَيَتَبعُونَهُ» (٥٦).

وذكر السكسي المتوفى عام (١٢٨٤هـ/١٢٨٣م) أن ابن سباء وجماعته أول من قالوا بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت (٥٧).

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى عام (١٣٢٧هـ/١٣٢٨م) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة ، فإنه ابتدعه ابن سباء الزنديق ، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له» (٥٨).

وأشار الحسن الحلبي المتوفى عام (١٣٣٩هـ/١٣٤٠م) إلى أن ابن سباء ضمن أصناف الضعفاء (٥٩).

و عند الحافظ الذهبي المتوفى عام (١٣٤٧هـ/١٣٤٨م): «عبد الله بن سباء من غلاة الشيعة ، ضال مضل» (٦٠).

أما الصفدي المتوفى عام (١٣٦٣هـ/١٣٦٤م) فقد قال في ترجمته: «عبد الله بن سباء رأس الطائفة السببية... فلما قتل علي زعم ابن سباء أنه لم يمت لأن فيه جزءاً إلهياً ، وابن ملجم إنما قتل شيطاناً تصور بصورة علي ، وأن علياً في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق صوته ، وأنه سينزل إلى الأرض» (٦١).

ويشير الشاطبي المتوفى عام (١٣٨٨هـ/١٣٨٠م) إلى أن بدعة السببية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود الله مع الله تعالى وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات (٦٢).

ويعرف الجرجاني المتوفى عام (١٤١٣هـ/١٤١٦م) عبد الله بن سباء بأنه رأس الطائفة السببية... وأن أصحابه عندما يستمعون الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين» (٦٣).

وفي خطط المقرizi المتوفى عام (١٤٤١هـ/١٤٤٥م) أن عبد الله بن سباء قام في زمن علي رضي الله عنه محدثاً القول بالوصية والرجعة والتتساخ (٦٤).

وسرد الحافظ ابن حجر المتوفى عام (١٤٤٨هـ/١٤٥٢م) في كتابه: «لسان الميزان» عن ابن سباء أخباراً غير روایات سيف بن عمر ، ثم قال في النهاية: «وأخبار عبد الله بن سباء شهيرة في التواریخ ، وليس له روایة والحمد لله» (٦٥).

وفي عقد الجمان للعيوني المتوفى عام (١٤٥١هـ/١٤٥٥م) أن ابن سباء دخل مصر وطاف في كورها ، وأظهر الأمر بالمعروف ، وتكلم في الرجعة ، وقررها في قلوب المصريين (٦٦).

وأكذب السيوطي المتوفى عام (١٤٥٠هـ/١٤١١م) في كتاب «لب الألباب في تحرير الأنساب» نسبة السببية إلى عبد الله بن سباء (٦٧).

وتحسن الإشارة إلى أنه لا ينبغي الغض من قيمة المصادر المتأخرة التي ذكرت السببية، ذلك أن أصحابها كابن كثير والذهبـي وابن حجر والسيوطـي وغيرهم من الأئمة الحفاظـة، كانوا يستقون معلوماتهم من مصادر قديمة وقيمة بعضها الآن في عداد المفقودـ، كما عرفوا بسعة اطلاعـهم، وغزارـة معارفهم وتصصـهم الدقيقـ للأخبارـ، حتى إن الباحثـ يندهـشـ مثـلاًـ عندما يطلعـ علىـ كثـرةـ الطرقـ وتنوعـهاـ فيـ روایـةـ ابنـ حـجرـ لأـحدـاثـ تـارـيـخـيـةـ، وـمـنـ مـصـادـرـ مـتـقدـمةـ كـأـخـبـارـ الـبـصـرـةـ لـابـنـ شـبـهـ، وـكـتـابـ صـفـيـنـ لـحـيـيـ بـنـ سـلـيـمـاـنـ الـجـعـفـيـ، وـالـمـعـرـفـةـ وـالتـارـيـخـ لـلـفـسـوـيـ، وـتـارـيـخـ أـبـيـ زـرـعـةـ الـدـمـشـقـيـ، وـغـيرـهـ مـنـ كـتـبـ التـارـيـخـ.

وللحوار بقية. في العدد القادم بإذن الله.

الهوامش:

* دورية علمية تصدر عن جامعة الكويت.

(١) المنصور في مجلة الأزهر بدءاً من العدد (٥ السنة ٦٣) الصادر في جمادى الأولى عام ١٤١١ هـ.

(٢) الهلابي: عبد الله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، ص ١٣.

(٣) انظر: العجلي: الثقات ، ص ٢١٢ ، وابن حجر: تقريب التهذيب ، ج ١ ، ص ٣٤١.

(٤) يحيى بن حمزة الزيدى: طوق الحمامنة(نقلًا عن إحسان إلهي ظهير: السنة والشيعة، ص ٨) ، وابن حجر: لسان الميزان ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ ، وتهذيب التهذيب ، ج ٢ ، ص ٢١٤ ، قال: (رواه البرقاني في اللفظ).

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق (المخطوط) ج ٩ ، ص ٣٣١.

(٦) الذهبي: الكاشف ، ج ١ ، ص ٥١ ، وابن حجر: التهذيب ، ج ١ ، ص ١٧٧.

(٧) ابن سعد: الطبقات ، ج ٦ ، ص ١٩٢.

(٨) انظر: الفسوی: المعرفة والتاريخ ، ج ٢ ص ٥٩٢ ، والخطیب: تاريخ بغداد ج ١٢ ، ص ٢٢٧.

(٩) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ، ج ٩ ص ٣٣١.

(١٠) انظر: ابن سعد: المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٩٥ ، وخليفة: الطبقات ، ص ٢٤٦.

(١١) الفسوی: المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٦٥٨.

(١٢) انظر: الذهبي: الكاشف ، ج ٢ ، ص ٥٢ وابن حجر: التقریب ، ج ١ ، ص ٣٨٩.

(١٣) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ج ٩ ، ص ٣٣١.

(١٤) انظر: العجلي: المصدر السابق ص ١١٠ وابن حبان: الثقات ، ج ٤ ص ٩٢.

(١٥) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ج ٩ ، ص ٣٣١.

(١٦) انظر: ابن حجر: لسان الميزان ، ج ٣ ص ٢٨٩.

(١٧) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ج ٩ ، ص ٣٣١.

(١٨) انظر: العجلي: المصدر السابق ص ٣٨٩ ، وابن معين: التاريخ ، ج ٢.

(١٩) الطبری: جامع البيان عن تأویل آی القرآن ١١٩/٣/٣.

(٢٠) انظر: ابن قتيبة: المعارف ، ص ٢٣٤ وابن النديم: الفهرست ، ص ١٠٥.

(٢١) الطبری: تاريخ الرسل ، ج ٦ ، ص ٢٥.

(٢٢) الهلابي: المرجع السابق ، ص ١٦.

(٢٣) أعشى همدان: دیوان ، ص ١٤٨.

(٢٤) أبو عمر العدنی: كتاب الإيمان ، ص ٢٤٩.

(٢٥) ابن سعد: المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٩.

(٢٦) انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين ج ١ ، ص ٨٦ ، والقمي: المقالات والفرق ص ١١٩ ، وابن

حبان: المجرودين، ج ٤ ص ٢٥٣ ، والمقدسي: البداء والتاريخ ج ٣ ، ص ١٢٩.

(٢٧) ابن حبيب: المحبر ، ص ٣٠٨.

(٢٨) ابن تيمية: منهاج السنة ، ج ١ ، ص ٧.

(٢٩) الجاحظ: البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٨١.

(٣٠) الجوزجاني: أحوال الرجال ، ص ٣٨.

(٣١) ابن قتيبة: المعارف ، ص ٢٦٧.

- (٣٢)البلذري: أنساب الأشراف ، ج ٣ ص ٣٨٢.
- (٣٣)الناشيء الأكبر: مسائل الإمامة ، ص ٢٢.
- (٣٤)الهلابي: المرجع السابق ، ص ٤٨.
- (٣٥)المرجع نفسه ، ص ٤٧.
- (٣٦)الفرزدق ، ديوان ، ص ٢٤٢.
- (٣٧)القمي: المصدر السابق ، ص ٢٠.
- (٣٨)الطبرى: تاريخ الرسل ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ..
- (٣٩)التوبختي: فرق الشيعة ، ص ٢٣.
- (٤٠)أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان): الزينة في الكلمات الإسلامية ، ص ٣٠٥.
- (٤١)ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج ٢ ص ٤٠٥.
- (٤٢)أبو الحسن الأشعري: المصدر السابق ج ١ ، ص ٨٥.
- (٤٣)أبو عمر الكشي: الرجال ، ص ٩٨.
- (٤٤)المصدر نفسه ، ص ١٠٠.
- (٤٥)ابن حبان: المجموعين ، ج ٢ ، ص ٢٥٣.
- (٤٦)المقعي: المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٩.
- (٤٧)المططي: التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص ١٨.
- (٤٨)ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه ج ١ ، ص ٢١٣.
- (٤٩)الخوارزمي: مفاتيح العلوم ، ص ٢٢.
- (٥٠)البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١٥ ، ٢٢٥.
- (٥١)أبو جعفر الطوسي: تهذيب الأحكام ج ٢ ، ص ٣٢٢.
- (٥٢)الاسفرايني: التبصير في الدين ، ص ١٠٨.
- (٥٣)الشهرستاني: الملل والنحل ، ج ٢ ص ١١٦.
- (٥٤)المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٥.
- (٥٥)السمعاني: الأنساب ، ج ٧ ، ص ٢٤.
- (٥٦)ابن عساكر: المصدر السابق ، ج ٩ ص ٣٢٨.
- (٥٧)ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ج ٢ ، ص ٩٨.
- (٥٨)ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٩٩.
- (٥٩)السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، ص ٥٠.
- (٦٠)ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج ٤ ص ٤٣٥.
- (٦١)المجلسى: الرجال ، ج ٢ ، ص ٧١.
- (٦٢)الذهبى: المغني في الضعفاء ، ج ١ ص ٣٣٩.
- (٦٣)الصفدى: الوافى بالوفيات ، ج ١٧ ص ٢٠.
- (٦٤)الشاطبى: الاعتصام ، ج ٢ ، ص ١٩٧.
- (٦٥)الجرجاني: التعريفات ، ص ٧٩.
- (٦٦)المقرىزى: الموعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٣٥٦.
- (٦٧)ابن حجر: لسان الميزان ، ج ٣ ، ص ٢٩٠.
- (٦٨)العينى: عقد الجمان في تاريخ أهل الرzman ، ١٦٨/١٩.
- (٦٩)السيوطى: لب الألباب في تحرير الأنساب ج ١ ، ص ١٣٢.

خاطرة أدبية أدباء.. بلا أدب

د. محمد بن ظافر الشهري

قالوا عن الرجز أنه حمار الشعراء ، قلت: ليس الأمر كذلك إذا عد الحداثيون شعراء ، ذلك أن الصحف باتت أطوع الحمر للحداثيين ، فهي لا تبالي من الذي يمتطىها ولا ماذا يحمل ، مadam لا يحمل كلمة ثابتة الأصل شامخة الفرع ، وعلى كل حال فلم تعد الحمر بنوعيها وسائل مقنعة في هذا الزمان، وللهذا عمد أهل الارتزاق بالكلمة إلى «سيارات الكذب» فركبوا أسرعها لأن الثمن يتتناسب باطراد مع السرعة ، وامتطى قليلاً للأدب «طائرات الاغراء» فحلقوها بها في سماء المجاهرين، أما عديمو الأدب فقد استقلوا «مكوك سب الإسلام» الذي أثبتت معامل النظام العالمي الجديد/القديم أنه أسرع وسيلة للوصول إلى النجومية العالمية ، وهو مجهز بأحدث وسائل السلامة!!.

لقد نال سلمان رشدي جائزة الدولة النمساوية إيماناً بـ «آياته الشيطانية» ، واستحق «الطاهر» بن جلون جائزة جونكورد الفرنسية في «ليلة قذرٍ» ، وتسبب «أولاد حارة» نجيب محفوظ في منحه جائزة نوبل.

إن المتابع للحركة الأدبية يلاحظ انتشار «الشذوذ الفكري» الذي أدرك عبيد الدرهم والشهرة أنه أيسر السبيل لتسنم الهرم الأدبي المعاصر.

ليس شيئاً مما ذكرت يدعوا إلى العجب ، فإن الحرب بين الحق والباطل سنة ماضية ، ولكن إذا كان هؤلاء «الشاذون» قد آثروا الحياة الدنيا ، فأين الذين آمنوا بأن الآخرة خير وأبقى؟! ، إن هذا ينبغي أن يكون حافزاً لكل من وجد في نفسه القدرة على التعامل مع الكلمة وتطويعها أن يتقدم في ثقة وثبات متوكلاً على الله ، راجياً وجهه ، منافحاً عن العقيدة الناصعة والفكر الأصيل.

على الشاعر والناثر والناقد أن يشعروا بالمسؤولية الملقاة على كواهلهم وليحذروا من أن يرمي بهم التقليد الأعمى في غياب الغموض ، أو يحصرهم في خطاب أساتذة الأدب الانجليزي في كليات الآداب ، إنهم مطالبون بإيصال الفكرة عبر الكلمة إلى الناس.. كل الناس.

وتبقى الحكمة ضالة المؤمن أني وجدتها فهو أحق بها، ويبقى الأديب المؤمن صداعاً بالحق مهما كثر الناعقون بالباطل ، ((.. فلما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)) [الرعد: ١٧]

نص شعري شجاعة

عبد الله بن محمد العسيري

أخيراً تعلمت أن جهاد اليهود ضلالٌ..!

وبوابه.. للمجاعه!

وأن عناق اليهود شجاعه!

وأن نضالي الحقيقى تفريحُ ذاكرتى..

من حكايا دمائي المضاعه!
ووهم القتال..
وحسبيك من شر لفظ سماعه.

غسلتُ فمي وفؤادي!
فرشتُ لرابين بسط ودادي!!
وعدت إليكم (فتح) مريح
غنائمه رائحتُ غوادي!!
شجاع أنا فاحملوني وغنوها..
وزكوا نفوسكم من كرامتها!!.. وتمنوا
فأحلامكم فوق ريح السلام..
ستصبح سُحبًا..
تصب الغنى فوقكم والوئام!!

فقط.. طقووا وهمكم واتبعوني
فإنني كرهت سجون الكرامة!!
أنا خلف (وجه الصقور) اختنقت عقوداً..
فما أجمل الآن وجه النعame!
شجاع أنا لست أخشي..
وها أنا أعلن أنني تخطيت خوفي..
وصرت لدى ابن (حيي) غلامه!!

قصة قصيرة عواصف العتمة

عواض بن شاهر العصيمي

في تلك الساحة..
والليل شبه وحيد في الطرقات..
ثمة قطيع من الكلاب يدور عاصفته على هواه..
تكبر حيناً وتندو حتى أقول لن تصمد لها نافذتي المسيحية بالحديد متقارب القضبان.. وحينما.. تخر إلى الأرض ، فأحس بالأمن وتبدأ غيمة النعاس تلامس العينين.
بيد أنها ، كما لو أن أحداً قدف حراً هناك: ما تلبث أن تملأ من جديد فضاء الليل ، فأبقى مكرهاً
مفتوح العينين ، أكابد العاصفة..
الوقت كماء ينبع من صخرة ، يقطر كعادته متبايناً عنـي.. يتحاشاني أراه كلما تضرست في
مزولته ، والصبح لا عصافير له تحت العقارب..
أنهض.. أتأمل الساحة بغضـب.. متوارية كالخدعـة ، وفيها الكلاب لا تكاد ترى.. عمود المصباح
الذي يطل عليها من بعيد معطل ، ويقف مثل رجل منحن.. والطريق سقيم.. ولو غامرـت ونزلـت إلى

الشوارع ، وحاربت هذه المخلوقات بالحجارة ، لربما اعترضتني في تلك الساحة دورية الليل.. وعندما يسألوني سوف أرتبك .. وحينئذ قد ينزل من «الجيب» أحدهم ويدنو مني .. يتحققني.. «البيجامة» واسعة كالثوب .. وسابغة حد الكعب .. والحلق بالإمكان حصر أزاريره خارج الفتحات .. والوجه على سجتيه ..

سألقي عليه تحية آدم لملائكة الله أولاً، ثم أصافحه .. هو حُرّ.. إن شاء صافحني وإن بادرني بالأسئلة فكما يريد.. الحق معه.. ماذا يفعل رجل هنا مع هذه الكلاب؟!.. وفي هذه الساعة من الليل الغابر؟!..

- لقد أز عجتني.. حاولت النوم فلم أستطع والله!..

- وتخرج هكذا .. أين تسكن؟!..

- هناك .. في تلك «الحار»..

- هويناك!..

صحيح.. وهذا قد يأخذني إلى التوقف.. سيكون صعباً بكل تأكيد قضاء بقية الليل على بلاط الريمة حتى الصباح..

ألمح وأنا مستند إلى قضبان النافذة المعتمة أكثر من كلب يقترب من العمود المعطل.. يتمسك به أحدها.. يرفع رجله.. هذه وضعية ممتازة للقتل.. رصاصية واحدة ، وفي مكان لا تزيغ فيه الشارة ، كافية لمسح أثره..

هكذا كنا نقل الكلاب.. إذ ما أن تهبط على قطuan الماعز في السفوح حتى تتلقاها في عتمات الكمانين.. فوق الصخور، أو تحت الشجيرات المنقضية على منازلنا في السهل ، لا تطيش الطلقة عن لمعة المقتل..

أشد قبضتي على الحديد الخشن.. أشعر بالصدأ يتلوحش في معترك الخطوط ، ويهيج في الأصابع.. يخترق راحة اليد باتجاه عزيمة اللحم والدم والعصب.. وما الذي يضر؟!..

عما قليل سيشتعل نداء الفجر.. وحالما تسيل على الحيطان الشمس تتطفئ الكلاب..

أنزع يدي خاليتين من الصراخ ولخط القضبان ، وأعود متمهلاً إلى فراشي.. الغرفة مذبوحة من الجدار إلى الجدار في الظلمة.. والباب موارى.. وفي نهاية المدخل على بعد أمتار ثمة زاوية تمسك

بمصارب ينسكب مباشرة باتجاه الباب الذي يسلمني على الدوام إلى الشارع.. غير أن سعفة من الضوء رغم ذلك جاهدت في السقوط عبر الباب داخل الغرفة ، وعلى الجدار انكسرت فبقي منها مثل طولي قائماً يتثبت بتراب الطوبات القريبات من السقف..

كانت العاصفة قد سكتت..

ها هي من منازل الجيران تأتي الديكة منتشية بماء الفجر ، وأنا أذكر الله وأحسو الغرفة بالخطوطات..

أقف مباشرة تحت المروحة المضبوطة على رقم(٥).. ورغم أن الهواء ينزل على فروة رأسي كالسوط ، وصرير المروحة منخرط فيما يشبه انهيار السلال ، إلا أنني أوقفت عيني على شيء يتحرك عند قدمي..

لقد أثار انتباхи أنني أطفأت الأنوار على فراش منفرد ، وثياب معلقة على الحائط ، ولم أفطن إلى أن الجريدة بقيت تروح بعدي وتجيء تحت هواء المروحة المستديم.. الآن فقط تبين لي أن الصفحات كانت طوال الليل تروح وتجيء تحت الهواء.. تتصف.. يصطف بعضها ببعض.. في الظلمة.. تحت الصرير..

أتذكر كيف أن الدم كان يفور بين يدي ، والخراب يندلع في الصفحة سطراً بسطر.. وأن دمي موزعاً بين وكالات أنباء العالم ليس غير هذا الذي يسيل هنا تطارده الحرائق وحدقات الجنود..

أذكر كيف أن «علي عزت بيغوفيتش» كان يقف وحيداً في ركن الصفحة مسبل اليدين ، حاسر الرأس ، قد بذل وجهه إلى شيء ما عن يساره ، وعينه اليمنى كانت ضيقة مثل الطرقات إلى «سراييفو » ..

وكيف أن الرجال ذوي العيون الزرق ملؤا ذات صباح شوارع «مقديشو بحثاً عن سلام فاقع كجباهم وقت الظهيرة.. كانت (Hope Returning)* ترقص ثملة على شفاه رجال البحرية وهم يحرسون الأقداح الفارغة في المخيمات ، بينما أحدق أنا في وجوه بضعة أطفال تجاوروا حول رجل لا يبدو منه سوى دمه على الأرض.. العالم يطبق على رأسي مثل قبعة..

أحسست بجفاف حاد، واشتهيت الماء، غير أنني تمهلت في النهوض حتى اطمأن ، عرقٌ في رأسي أخذني فجأة..

وبقيت الجريدة بعدي..

والكلاب..

والعتمة..**

الهوامش:

* معناها: «إعادة الأمل»، وهو اسم العملية العسكرية التي أقرها على أرض الصومال مجلس الأمن الدولي.

** نشرنا قصتك بالرغم من سيطرة العتمة عليها، ونرجو أن تحمل مشاركتك القادمة بروفة من الأمل والعمل بين العواصف.

-البيان»-

نص شعرى .. حوار ..

على الحاجى
جميل:

أنا يا بثينة راحل صوب الجبل فالشيب أنذرني وقلبي في وجلن
قال استمع نصحي فوجهك شاحب رتب حقائبك الثمينة في عجلن
والوقت أدركنا وهذي شمسه غابت وراء الأفق والليل وصل
إنى بياض غير أن مصيبتى سوداء تحمل في ثناياها الأجل
عهد الشباب مضى فماذا يرجى من هذه الدنيا الفجورة بالذجل
إمض لعزك فالجنان قريبة قرب الطغاة إلى جهنم يا بطلن

بثينة:

قالت بثينة يا جميل أما ترى
أن المعارك والحروب بلا أمل
وتتيمث أبناء هم ونقوسهم
بذل الآباء دماء هم ونقوسهم
بل كل معركة نخوض غمارها
إهدا قليلاً كي نقوم ما مضى
ونرى علاقة ما طبخت بما حصل
أم أنه نرق وطيش مرتجل؟
هل ما تقوم به جهاد فاضل

وَهَنْتِ قَوْيُ الصَّبْرِ الْجَمِيلُ لِدِيْكُمْ فَخَرَجْتَ تَسْتُرَ ضَعْفَ صَبْرِ قَدْ رَحَلَ
وَوَصَفَتْ مَنْ جَعَلَ الْأَنَاءَ طَرِيقَةً يَبْنِي بَنَاءَ الصَّالِحِينَ مِنَ الْأُولَى
حَمَلَ يُعْدُ عَلَى الْمَدِيْحِ مِنَ الْهَمَّلِ

جميل

أو هَنْتِ يَا بَنْتَ الْأَكَارِمِ وَالْتَّقَىٰ وَشَرَعْتَ فِي نَحْتِ الْأَرْوَمَةِ وَالْأَلَّىٰ
وَجَعَلْتَ أَسْبَابَ الْخُنُوعِ جَمِيلَةً وَصَقَّلْتَ سِيفًا لِلدُّعَائِيَةِ وَالْجَذَلِ
خَوْفًا عَلَى مَالِ يَلْذُرِنِيَّتِهِ وَخَدُودَ أَصْغَرْنَا الَّذِي مَلَّ الْقُبْلَ
هُمْ جَنَّدُوا لِلْحَرْبِ كُلَّ رَمَاحِهِمْ وَبَقِيَّتْ وَحْدَيَ بِالْتَّعْقُلِ مُعْتَقَلْ
أَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ الْذَّلِيلِ وَأَبْتَغَيْتِي حُورُّ تَلَالًا مِثْلَ أَحَدَاقِ الْمُقْلَنِ
أَنَا إِنْ أَمْتُ فَإِلَى الْجَنَانِ تَزْفَنِي حُورُّ تَلَالًا مِثْلَ أَحَدَاقِ الْمُقْلَنِ
أَوْ أَنْتَصِرُ أَقْضِي عَلَى جُبْنِ غَدَا نَهْجًا وَفَكْرًا يُسْطَابُ وَيُنْتَحَلُ

بَثِينَةٌ :

أَنَا مَا عَشْقَتَكَ يَا جَمِيلَ صَبَابَةَ أَوْ هَرَّنِي شَعْرُ تَضَمَّنَ بِالْغَرَلِ
أَنَا قَدْ عَشْقَنِي يَا جَمِيلَ مُجَاهِدًا وَمُتَقْفَأً وَمُفْكَرًا يُحِيِّي الْأَمَلَ
أَنَا مَا حَرَصْتُ عَلَى الْحَيَاةِ دَقِيقَةً إِلَّا لِأَضْغَطَ فَسُوقَ زَنْدِكَ يَا بَطْلَ
إِنْ كُنْتَ تَحْسُبُ أَنْ قَلْبِي خَائِرٌ أَخْطَأَتْ يَا زَرِينَ الشَّبَابَ وَلَا خَجْلٌ
أَوْ كَانَ حَقْدُكَ يَا جَمِيلَ أَصَابِنِي فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَقَّ أَكْثَرَ مَا قُتِّلَ
كُلَّ الَّذِي أَبْغَيْتَهُ أَنْ تَلْقَى الْعَدَا فِي سَاعَةٍ لَا حَظٌ فِيهَا لِلْفَشَلِ
وَانْظُرْ لِصَفَّاكَ بِالْأَنَاءِ وَبِالْتَّقَىٰ وَابْحُثْ عَنِ السَّرِّ الَّذِي خَلَفَ الشَّلَانِ

بَثِينَةٌ :

أَنَا لَسْتُ أَحَقُّ يَا بَثِينَةَ مُطْلَقاً لِكَنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَوْلِ
أَخْشَى مِنَ الْضَّعْفِ الَّذِي هَرَّ الْحَجَّا وَغَدَا سَلَاحًا يَسْتَظِلُّ بِمَا حَصَلْ
لَكَنْ نُصَحَّاكَ يَا بَثِينَةَ رَائِعٌ غَسْلٌ يُخَالِطُهُ رَحِيقٌ مِنْ جَدَنْ
قَلْبِي بِحَثْبِكَ يَا بَثِينَةَ نَابِضٌ لَمَّا رَأَيْتُ الصَّدَقَ يَنْبِضُ فِي الْمُقْلَنْ
هِيَا نُحَاوَلَ أَنْ نَقْوَمَ نَهْجَنَّابِشَجَاعَةَ الْأَبْطَالِ وَالسَّلْفِ الْأُولَى
رَفِعُوا لَوَاءَ الْحَقِّ فِي أَرْكَانِهَا وَفَقَ الْكِتَابَ وَوَفَقَ مِنْهَاجَ عَدَنْ
فَقَهُوا كَتَابَهُمْ وَعَاشُوا عَصَرَهُمْ فَاسْتَبَطُوا حَكْمًا وَصَاغُوهَا دَوْلَنْ

بَثِينَةٌ :

أَبْشِرْ جَمِيلُ فَلَسْتُ أَوْجَلُ مِنْهُمْ حُسْنُ التَّدْبِيرِ مِنْ مَزَيَّاتِ الْبَطْلِ
فَانْظُرْ لِمُشَكَّلَةِ الْجَزَائِرِ كَيْ تَرِي أَيْنَ الصَّوَابُ وَأَيْنَ أَسْبَابُ الْرَّلَلِ
وَانْظُرْ إِلَيْ مَصَرَّ الْجَهَادِ هُنْيَهَةً عَلَّ التَّبَصُّرَ يُطْفَئُ الْخَطَبَ الْجَلَلِ
أَوْ خُذْ بِلَادَ الشَّامِ كَيْفَ تَصْرِفُوا فِي كُلِّ بِيَدَاءِ طَلَلِ
فَإِذَا اسْتَفَدْتَ مِنَ الدَّرُوسِ جَمِيعَهَا وَوَعَيْتَ أَسْبَابَ التَّخْلُفِ وَالْعَلَلِ
هِيَا إِلَى سَاحِ الْجَهَادِ فَكُلَّنَا شَوْقٌ لِنَثَارَ لِلْمَذَابِحِ فِي عَجَلٍ
فَإِذَا رَجَعْتَ مِنَ الْجَهَادِ مُظْفَرًا أَلْقَاكَ بِالْوَجْهِ الْمُضَيِّعِ وَبِالْقُبْلِ
وَإِذَا قَضَيْتَ فَإِنِّي مُشْتَاقَةٌ وَلِجَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ يَحْدُونَا الْأَمَلَ

الْهَوَامِشُ :

الْأَلَّىٰ: أَلْلَةٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَصْلَهُ

نقد على نقد

تقويم الحداثة = تقويض أم ترويض؟

إبراهيم بن منصور التركي

أجدب النمط الشعري في عصر الانحطاط ، وبلغ من التصرّر درجة الترمّد والتجلّم ، فهبت أيدي النهضويين تستدعى النص التراخي الغائب تعيد إإنطاقه واستنتطاقه ، وتحاول امتداداً عمودياً يتصل بالسلف الشعري ، ويمتد في الوقت نفسه أفقياً ليعبر عن واقعه المعاش.

ولم يكن هذا الوضع ليرضي ثلة معاصرة رأت فيه ارتکاساً فجأً ، يتبّتل في محراب القديم «المتكلس» ، فمضت فيما تحسبه حداثة أو تحديثاً تزعم اقتراض النافع من يمين أو يسار ، فاتحة بذلك باب الانبهار بالأخر الغربي على مصاريعه ، كل ذلك مع محاولة استنكاف يتأبى خصوصاً للسابق العربي ، فكان أن جاءت تلك المحاوّلات مسخاً للشرق ونسخاً للغرب.

وحاول بعض المهمتين تلمس أسباب تلك الميلول المتقرنة ، واكتناه ما وراء الأكمة ، فجاءت طروح كثيرة يأخذ بعضها برقب بعض ، تعرّض لهذه الظاهرة التحديثية وتتناولها بالدراسة والتقويم ، وأبحرت مقاربات رديفة لتنتشل الأدب من التشطي المرتقب ، وتحثو في وجوه الناكسين بعض

الحقيقة ، وانبرت الثلة الغيورة لتمترس صوت الحوار والنقاش ، مطلقة أغيرتها الحوارية عبر توجّهين متباینين انشعبت إليهما الرؤى ، تعلن في أولهما الفئة الأولى عن رفضها القاطع لكل إفرازات تلك الظاهرة التحديثية ، وترى حتمية القطيعة المعرفية مع كامل نتاجاتها ، في حين رأت الفئة الأخرى إمكانية الانتفاع بالمعطى الجديد ما لم يصادم الثوابت أو يزعزعها ، هذه الفئة الأخيرة تتکي على تأسيس معرفي بالرأي والمضاد ، فتناور بعد استكمالها شرائط الحوار وطرائقه ، من غير ان تتخذ من دون الحق ولیجة ، وسنقارن فيما يأتي بين النهجين في حوارهما الحداثة حواراً أدبياً فكريأً.

أولاً: جوانب التجديد الشكلي:

لقد تخلّقت الحداثة من رحم التجديّدات وارتياز ذرى التحدّث ، فما لبثت الأكلة أن تداعّت إلى قصّعتها مبهورة بتجديد الموائد ، إلا أنها أعني الحداثة أصطدمت بالابتلاء المحسّن عن بعض ضد اجتياحاتها الجسورة ، فهي لم تكتف بالاندساس الدلالي في صميم المتن الشعري ، وإنما مارست انزياحاً متّمرداً انتهك الأنفاق الشكليّة السائدة ، وحاول بعض الغيورين ربط هذا الانتهك الشكلي بجوانب التمرد الدلالي ، فالشعر الحر أو شعر التفعيلة وفق هذه النظرة مرفوض بجميع أشكاله وألوانه ، لأنّه يشارك في الجريمة الواسعة ويمهد لها ، والشعر الحديث جريمة يمتد في أسلوب متدرج حتّى يقتل الكلمة العربية ويلغي تاريخها ، وحتى يحاول قتل اللغة كلها ، ثم يمتد المكر إلى التاريخ والعقيدة والدين ، ومن ثم لا يرضي أصحاب هذا التوجّه عن عدد من الشعراء المسلمين شرعوا يكتبون الشعر الحديث ، وهم يدرّون أو لا يدرّون أن جميع أشكاله بضاعة واحدة خطّط لها نهج واحد لتحقيق أهداف واحدة.

ولم يرتضى المنصفون فتح أبواب المصادر والإلغاء وإسّاعـة النـية، أو جعل التماهي بين الكيانين الشكلي والدلالي أمراً حتمياً ، فجاء نهجـهم ليقرر بأنـ لنا «أنـ نعافـ الطـارـئـ وليسـ لناـ رـفـضـ وجودـهـ وإنـ اختـلـفـ معـ المـورـوثـ..ـ فـشـاعـرـ النـثـرـيـةـ وـالـغـمـوـضـ نـرـفـضـهـ فـنـيـاًـ وـلـاـ نـنـظـمـهـ فيـ عـقـدـ المشـبـوهـينـ إـلاـ

أن يتعدى بنزوعه تقويض الكلمة الطيبة ، والتأثير فنياً بشاعر حداثي لا نسلكه في مساره الفكري»(١)

وحسبما يعلم فإن التجديد العروضي ضارب بجذوره في تراثنا الأدبي كما أن الغموض ليس قضية آنية راهنة ، وإنما هو إشكالية تتتجذر في تراثنا النقي عبر مقوله (المعنى في بطن الشاعر) أو مكاشفة (لم تقول ما لا يفهم؟ إنهم تخلص للفن من تلك العبارات التي فقدت وهجها المثير ، وأصبحت مضغة في شدق السائد والمتبعة.

إن الرغبة السلطوية في التأطير وقولبة الإبداع ستفجر عثرة إن اتسعت أمداؤها أمام محاولات التجريب والشكف عن اللامع المستكن.

ولهذا جاء النهج المتعقل ينداح في فضاءات التمايز بين الكيانين أعني محايضة الفن للموضوع ويؤكد أن «الغموض الفني لا يعني إلغاء الدلالة.. إنه تخلص للنص الإبداعي من الدلالة الواحدة المنتهية والتسامي إلى احتمال دلالات كثيرة يتلبس بها النص ، وتكون قادرة على الاستجابة لطلعات المتلقي»(٢)

إن النهج المنكفي على مألف الذات لا يشكل معضلة حينما يغدو الانكفاء ممارسة فردية محصورة ، ذلك أن الطرح الشعري الجديد يظل توجهاً ذوقياً يحق للأخر استدياره مدام يرى القبلة في الجهة المخالفة ، إنما الإشكال ينزرع عندما يكون الاستنكاف الفردي فرضاً قسرياً لرأي الآنا في وجه الرؤية الجماعية ، أو عندما يصبح تجبراً عدائياً ضد مألف الذات. إن رفض التجديد وإغفال الباب دونه سيؤدي بالضرورة إلى تسطح الإبداعات الأدبية ، وتحويل أشكالها إلى آخر محفوظة يضم بها الأدعية الدخلاء. فيختبئ من ثم الوسم البائن بين المبدع الأصيل ، والمدعى الدخيل. كما قد تتسلطن الرؤية الأحادية لتكتبس الرؤى الجمعية وتخزلها في مرتأي فردي وحيد.

ثانياً: إلغاء الحداثة وتصفيتها أم تنقيتها؟

إن التوجه الترويضي يميل إلى إمكان التقويض بديلاً عن إعلان التقويض ، ويطرح الرغبة في التنقية عوضاً عن الإلغاء والتصفية. فهو يتساءل عن جدواً «التفكير في أسلمة الحداثة وجعلها إشكالية عربية متحاشية التورط في الإلحاد والرفض والتصدي للإسلام»(٣)، «فالثابت أنها أي الحداثة تستمد لحمتها وسدتها من واقعها المعاش ، ومن ثم فإن لكل زمان وكل أمة وكل ثقافة حداثة متميزة ، فهل نملك القدرة على بلورة حداثة عربية تصد وباء الطارئ .. لو استطعنا ذلك لقلنا بوصف الجديد بالحداثة، ومنحناها ملامح عربية وإسلامية ولنا أن نسميها ما شئنا: حداثة أو معاصرة أو تجدیداً»(٤).

وبرغم الروح المتقائلة التي ينطوي عليها هذا الرأي إلا أنه يعكس إشعاع الترويض الذي يماهنه أنصار التقويض لطرح البديل الجائز ، وهنا تصبح محاولات التقويم فعل احتواء للشكل الحداثي دون النفاذ إلى دواخل المعنى الشعري ، أي أنه يحرر الكلمة مما علق بها من غبار السنين فيظهورها ويفسّلها. وهذا النهج المتعقل يعيد في حواره إيجاد خطابه النقيدي حول الخطاب الحداثي المتأسس فيندس في أديمه المغصن ، ويعيد تشكيله عبر رؤية مقبلنة تمارس الفرز والانتقاء. إنه يذيب ولا يذوب، يجادل ولا يجامل ، يختار الباقيات الصالحة ولا يرضى غيرها. ولا يرى خطاب التقويض إمكانية استبقاء الصالح، بل إنه يشنع على الحداثة بكل صورها ، وينفي تعدديتها وتبانيها ، فلا يمكن حسب ذلك الرأي أن يقول حداثي أن له حداثته الخاصة التي تختلف عن حداثية أدونيس أو كمال أبو ديب ، لأن ركيائز الحداثة واحدة ، وخطها العام واحد ، وهذا الرأي قد اجتالته أفكاره الغيورة المتحمسة إلى الرغبة في طمس المعلم التحديثية وغيتها ، دون

إدراك مفارقة الأدبى للفكري ، في حين يؤكد الخطاب الآخر وبكل واقعية أن علينا «أن نتبين مبادئن الجدل الحداثي فهناك الحيز الأدبى والحيز الفكري ولكل مجال متطلباته»^(٥) لقد خلط الهم التحديثى عملاً صالحًا وأخر سيئاً فكان لزاماً استبقاء ما ينفع الناس وإزهاق روح الزبد ، أما محاولة نسف المنجز الحداثي بكل مفرداته فتفكير عاطفى يهوى بالموضوعية فى مكان سقيق. إن ذلك يعني إشراع النوافذ أمام حوار فني تتبادل فيه الآراء حول الجديد الوارد دون فرض مصادرة أو استعداء.

ثالثاً: منهج التعامل مع الأقوال الحداثية:

الفارقان السابقان داخلان ضمن الفروق في منهج التعامل، لكن إفراد منهج التعامل مع الأقوال بفقرة منفردة يأتي تتبليهاً على خطورة هذا الجانب. ذلك أن كثيرين يستصدرون أحکامهم عن ظواهر الأقوال من خلال ما يستبطونه من نوايا، عبر توغل ينبع عن الظاهر البريء ليفترض بكاره الأصقاع المحجة.

يؤكد خطاب التقويض مثلاً على أن في الحداثة ثورة على اللغة والعقيدة والتاريخ والدين ، ويضطر أحياناً لكي يؤكد هذه المقوله إلى لي أعناق النصوص المحابية ل يجعلها رفضاً للدين أو اللغة أو التاريخ!. رغم أن النص حمال يمكن أن يستوعب دلالة أرافق!

إن العقل المتجرد يوجب «أن تختفى التعميم والتشهير وعشوانية التصدي. وتلافى إطلاق الأحكام العامة.. وتحرير المسائل وتحديد الأحكام وأخذ الأمور بقوة الفهم ودقة التصور»^(٦)، كما يأخذ على عاتقه «إقامة جسور العودة، وفتح قنوات الاتصال، وطرح الفاظطة والغلوظة وتحامي التشهير»^(٧).

إن التعامل الواقعي مع الظواهر المحدثة ومحاورتها كفيل ببلورتها وتصحيح منهاجها، أما استعداء الآخرين واتهامهم بالمرroc والفسوق والعصيان ، فلا يجب أن يكون إلا مع «الفئات المكشوفة ، التي تعلن الحرب على الله والكون والإنسان فهذه لا هوادة معها ولا حوار»^(٨) إن وجود حوار خلاق يدرع جنب الكلمة المذهبة سيرسم الدروب والمسالك ويقطع من البيداء المهالك ، وهو ما قد يعيد للأصيل تعلقه ، ويقزم دور الطارئ الدخيل ، فضلاً عن أنه يمنح النقد مصداقية هو في ميسى الحاجة إليها.

إن الإسلام كما يأبى في الشعر والقصة إثارة الشهوة، فإنه يأبى في النقد شهوة الإثارة، وهو كما يرفض أن يتسامق النقد لذات النقد فهو أيضاً يرفض أن يتتسابق النقد لنقد الذات، وكما الحررص على إيجاد أدب إسلامي في الشعر والنقد يجب أن يكون الحررص على وجود أدب إسلامي في الحوار ، هذه البدهيات المغفلة يجب أن تتسرح إلى حيز الفعل في كل حوار نceği ، حتى لا ينزل النقد الإسلامي أو يُنزل في مهارات لا تجدي شيئاً. وأحسب أن زلات كذلك قد تعنى سلباً للمعطيات الإيجابية التي يمكن أن تربى في حصن النقد والإبداع الإسلامي بفعل التحاور الخلاق بين الرأي والرأي الآخر.

إني هنا لا أتهم أشخاصاً أو أبرئ آخرين ، بقدر ما أحسب أنني وازنت بين نهجين من مناهج التعامل مع الرأي المضاد ، الذي وإن اختلفنا معه ، فلا يجب أن يكون اختلافنا ضدياً متشنجاً ، بل يجب أن يكون حوارياً هدائاً يمتلك مع فرادة التصور فرادة الأسلوب.

وعلى أي حال، يمكن لمن أراد الاستزادة في معرفة الحداثة ، سواء أكان من جهة جذورها أو أفكارها أو المنهج الناجع للتعامل معها، أن يقرأ مع كتاب د. الهويمل السابق كتاب: الحداثة في ميزان الإسلام للدكتور عوض القرني وكتاب: أدب الردة للأستاذ جمال سلطان ، ففيهما حول هذا الموضوع غناء شاف وبيان واف.

الهوامش:

- (١) الحداثة بين التعمير والتدمير ، د. حسن الهويمل ص ٣٩
(٢) نفس المصدر ص ٤٦
(٣) نفس المصدر ٢٧
(٤) نفس المصدر ص ٢٩
(٥) الحداثة بين التعمير والتدمير ص ٢٨
(٦) نفس المصدر ص ٣٤ ٣٥
(٧) نفس المصدر ص ٣٨
(٨) نفس المصدر ص ٣٧

المسلمون والعالم
الحالة الجزائرية الفصل الثالث
ثم ماذا؟!

د/ يوسف الصغير

إن ما يجري في الجزائر اليوم امتداد لما سمي بحرب الجزائر ، فالصراع كان بين تيارين أساسيين هما تيار الفرنسة والتيار الإسلامي ، وعلى الرغم من تغير الأسماء فإن المسمى واحد ، فالحرب الأولى كانت بين الجيوش الفرنسية والمجاهدين الجزائريين واستمرت من عام ١٨٣٩ م لمنطقة نصف قرن ، ارتكبت خلاله الجيوش الفرنسية أبشع صور الإبادة، وتم لهم في النهاية إخضاع الشعب الجزائري ، وبدأت مرحلة المسلح بعد مرحلة الإبادة، وخلال هذه المرحلة قام الفرنسيون بجهود جبارية لإعادة صياغة الشعب ثقافياً ، وضمّمت الجزائر إلى فرنسا، فتم تشجيع الفرنسيين على الاستيطان في الجزائر، واستعمارها وسموا بالمعمرين ، وأعطوا أحسن الأراضي ، وتمتعوا بحقوق المواطن من الدرجة الأولى أما الشعب فهو فرنسي من الدرجة الثانية ، وتم فرض الخدمة العسكرية عليهم ، ولكن لم يترقوا في الرتب، أما سياسياً فقد نشأت فروع للأحزاب الفرنسية في الجزائر وكانت أقصى أمانى الأحزاب الوطنية أن ينال مواطنوا الجزائر حقوق الفرنسي، وفي هذه الأثناء قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بإنشاء جمعية العلماء وكان لها دور كبير في المحافظة على الهوية الإسلامية، مما مهد لقيام حرب التحرير التي كان الإسلام هو مرتكزها المعنوي، وكان الناس يقاتلون لإخراج الفرنسيين الكفار من الجزائر التي يجب أن تبقى حرية ومستقلة عن فرنسا، وبالطبع كان هناك كثير من الجزائريين يقاتلون في صفوف الفرنسيين وهؤلاء انقسموا إلى قسمين، قسم بكر في اتخاذ القرار وانضم إلى جيش التحرير قبل انسحاب فرنسا ويمثلهم كثير من الضباط السابقين في الجيش الفرنسي، وهم الذين يحكمون الجزائر اليوم باسم فرنسا وعلى رأسهم خالد نزار ويعرفون بجنرالات فرنسا، أما القسم الآخر فقد خرجوا مع الفرنسيين وعاشوا في فرنسا يعانون من التهميش والإهمال فهم لا يعاملون معاملة الفرنسي على الرغم من تضحياتهم، حيث يعانون إحباطاً لا مزيد عليه فهم منبوذون من الجالية الجزائرية في فرنسا إضافة إلى إحساس الفرنسيين بأنهم عبء عليهم، غير أنه يتوجب عليهم إيواؤهم لأسباب أدبية.

وبعد إنسحاب فرنسا العسكري من الجزائر تولى مقاليد السلطة بدعم دولي وإقليمي رجل يخطب في الناس بالفرنسية، ويعكمهم بالاشتراكية (أحمد بن بله) وبينما قام النظام الجديد بتقريب الشيوخ عيين الذين كانوا يؤيدون لاستعمار الفرنسي، قام بايذاء وسجن شيخ جمعية العلماء.

وعلى الرغم من تغير الحكم فإن سيطرة المتقرندين كانت واضحة وتكونت منهم مافيا عسكرية وسياسية غرفت في الفساد ونهبت ثروات البلاد بل وحاولت بيع ثروات البلاد مقدماً وأوقعتها في ديون خارجية كبيرة حتى إن دخل البلاد لا يكاد يغطي ربا الديون فكيف بوفائهما؟ وفي المقابل قامت هذه العصابة بالوقوف أمام التوجه الإسلامي بل وحتى نشر التعریب.

ومن طريقهم استمرت فرنسا في حكم الجزائر وكانت الأحداث الحالية دليلاً واضحاً على أن الجزائر لا تزال أسيرة الاستعمار الفرنسي حتى إن الشيخ رابح كبير صرح في حديث إذاعي أن وزير الداخلية الفرنسي يتحدث كأنه وزير داخلية الجزائر، وذلك تعليقاً على حادثة المجمع السكني الفرنسي في الجزائر.

ولهذا فإنه لا داعي لتحليل مواقف الحكومة الجزائرية لأنها وإن كان أركانها سواءً أكانوا البارزين أو المتوارين لهم صالح يحاولون الحفاظ عليها إلا أن بقاءهم مر هون بمواقف أسيادهم، فهم بين منفذ لسياسات الدولة الداعمة أو لاجئ إليها.

إن الحكم العسكري في الجزائر يحاول الحصول على دعم من أي جهة لديها استعداد، ولها مصلحة في دعم الوضع الحالي في الجزائر ويمكن تقسيم تلك الجهات إلى ثلاثة: عربية وغربية وفرنسية.

أولاً : الموقف العربي:

إن نظام الحكم في الجزائر يحظى بدعم الدول العربية التي تشعر بخطر تنامي الصحوة الإسلامية وخوفها من قيام دولة إسلامية تعبّر عن آمال شعبها في تطبيق الإسلام في كل مجالات الحياة ، ولكن مظاهر هذا الدعم تتفاوت فبلاد المغرب العربي في وضع حرج: فهي من جانب علاقاتها متورطة مع الجزائر فهناك مشاكل حدودية ساخنة مع المغرب، وأخرى تحت الرماد مع تونس وليبيا، ومن جانب آخر تخشى وصول الإسلاميين للحكم مما يجعل الدعم الواضح للحكومة مغامرة غير محمودة العواقب، ولهذا فال المغرب تارة يغض النظر عن نشاط الجماعات المسلحة على جانبي الحدود، وتارة أخرى يتشدد معها حتى أنه سلم أمير الجماعة الإسلامية المسلحة (عبد الحق العياديد) إلى حكومة الجزائر التي حكمت عليه بالإعدام، أما تونس فإنها لزالت الصمت عند فوز الجبهة في الانتخابات، ثم انحازت بصورة واضحة للنظام مما أدى إلى قيام الجماعات المسلحة بعمليات انتقامية داخل تونس، أما ليبيا فهي كالعادة مواقفها متباعدة وغير ثابتة والحكومة الجزائرية أحياناً تتهم ليبيا بـإيواء المجاهدين، وأحياناً أخرى تشيد بالتعاون الأمني وتتحدث عن دعمها اللفظي طبعاً لليبيا في وجه الحصار المفروض عليها.

أما الدول البعيدة فمنها من يتراوح تأييده بين دعم مادي وبين تعاون أمني وثيق عن طريق إرسال ضباط وخبراء في التحقيق والتعذيب وعلى أي حال فإن وضع النظام المبيوس منه لا يشجع على التورط معه في علاقة قد تؤثر على مستقبل العلاقة مع تلك الأنظمة في حال سقوطه.

ثانياً: موقف الدول الغربية:

وهي تنقسم إلى دول من الدرجة الثانية، وهذه الدول همها المنافع المادية المجردة بغض النظر عن طبيعة نظام الحكم فمثلاً إيطاليا يهتم بها بقاء العلاقات الاقتصادية الحالية، ولكنها لا تبني النظام السياسي، ولهذا فهي تدعوا إلى حوار يشمل جميع الأطراف، بل وتقول: إن النظام يعني من مشكلة الشرعية أما الدول القوية وبخاصة أمريكا وألمانيا فإن لهما مصالح اقتصادية وأهداف سياسية مستقبلية في الجزائر: فمثلاً أمريكا لها مصالح حالية كبيرة في الجزائر وهي تأمل في تأمين هذه

المصالح ، وتسعى إلى ملأ الفراغ الذي يتوقع أن يشغر بخروج فرنسا النهائي من الجزائر ولها فهي تسعى إلى بناء علاقات مع كل من الحكومة الحالية ، ودعمها مالياً ولو بصورة محدودة نظراً لإحساس أمريكا بعدم جدوى الدعم للنظام وأن سقوطه مسألة وقت ومن جانب آخر تحرص على ربط علاقات ببعض الأطراف ممن يمثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبخاصة تيار الجزارة ، ويلاحظ أن موقف أمريكا الرسمي هو تفضيلبقاء النظام الحالي كما هو مع علمها باستحالة ذلك ، ودعوة النظام من جهة أخرى إلى الحوار الجاد مع الأطراف الأخرى التي لا تمارس العنف ، مما قد يعني ضمناً استبعاد جبهة الإنقاذ ، وهذا يتواافق مع الموقف الفرنسي ، ولكنه لا يتواافق مع الموقف الفعلي الأمريكي في محاولته لربط خيوط الاتصال مع جميع الأطراف ويبدو أن الموقف الأمريكي يحاول الجمع بين أمرين متناقضين وهما استبعاد الإسلاميين عن الحكم وأن تحل أمريكا محل فرنسا في الجزائر ، وهذا الجمع مما يصعب تصوره فإبعاد الإسلاميين يقتضي ترسيخ الدور الفرنسي ، وخروج فرنسا يعني سقوط النظام في يد الإسلاميين ، وبالتالي فإن أمريكا تصرح بأن هناك اتفاق في وجهات النظر مع فرنسا ، ولكن ليس هناك تطابق فيها ، وقد شرح أحد الدبلوماسيين الأمريكيين الوضع في الجزائر في لقاء له مع وسائل الإعلام ، ومما نشرته «الحياة» في ١٥/٢/٨ هـ نقتطف ما يلي:

«قال: إن الوضع المتدهور في الجزائر مقلق» ، ونفى أن تكون بلاده تنازلت عن الجزائر أو أنها مقتنة بأن حكومة إسلامية هي المستقبل الوحيد لهذا ليس الواقع «لقد أيدنا جهود الإصلاح الاقتصادي عبر إعادة جدولة ديونها الخارجية في نادي باريس وصندوق النقد الدولي وحضرتنا الحكومة على توسيع قاعدتها السياسية الضيقة جداً عبر الحوار مع كل القوى السياسية التي ترفض العنف والإرهاب» في البلد.

إلى أن قال: «أما النتيجة الأكثر ترجيحاً في حال استمرار التدهور فهي اتجاه البلاد نحو نوع من البلاقة ، وهذا سيكون تطوراً سلبياً يشجع بعض المناطق الأخرى مثل مناطق البربر لأن تصبح أكثر ميلاً للانفصال هذا هو السيناريو المرجح في حال استمرار التدهور».

ثالثاً: الموقف الفرنسي:

إن فرنسا تعاني من عقدة الشعور بأن هناك انحساراً سريعاً في النفوذ الفرنسي في العالم وتراجع على جميع المحاور أمام الزحف الإنجلوسكسوني فهناك مشكلة تراجع اللغة الفرنسية سواءً أكان ذلك على مستوى أوروبا أو على مستوى العالم ، وحتى في فرنسا يعاني الفرنسيون من زحف الثقافة الأمريكية الناطقة بالإنجليزية ، أما في إفريقيا فإن التراجع مستمر ويحاول الفرنسيون باستماتة الحفاظ على آخر مناطق نفوذهم فأنشأوا الرابطة الفرنكوفونية وتورطوا في النزاعات الداخلية لحماية مصالحهم ، وقد تمت هزيمة فرنسا في رواندا وحلت محلها أمريكا بدون جهد كبير ، ويمثل الوضع في الجزائر أكبر التحديات أمام الحكومة الفرنسية فهناك داخل الحكومة تنافس كبير بين وزيري الداخلية والخارجية حيال الملف الجزائري مما يوحي بحالة التردد في التعامل مع الجزائر بين عقليتين ، عقلية أن الجزائر ما تزال ينظر لها على أنها أمتداد لفرنسا أو أنها بلد لها فيها مصالح مهمة ، أما الشعب الفرنسي فهو يعيش بين مشاعر العنصرية والمكابرة إزاء المطالبة بالتدخل في الجزائر وبين الإحساس بالعجز ومحطبة الحكومة بالكف عن سياستها الخرقاء في الجزائر والعمل على عدم الغرق في أتون المشكلة الجزائرية ، ويبدو أن الحكومة الفرنسية متورطة في دفع فاتورة ليس لها حد من أجل حماية النظام ومحاولة منع سقوطه مع إحساسها بعدم جدوى الدعم حتى إن وزير خارجيتها يتساءل عن مصير مساعداتهم ولا شك أن ارتكابها لأعمال استعراضية مثل عمليات التفتيش والتدقيق التي ليس لها عائد سوى إحساس المسلمين بالغبن والإذلال مما يزيد من تفاقم الوضع ويدل

بالتالي على حالة التخبط التي تعيشها فرنسا مع إحساسها بأن هناك من يسره تتالي أخطائها لأنه يعد العدة للعب الدور التالي الذي قد ينجح فيه، وقد يناله ما نال فرنسا، وما أعنيه أن أمريكا دأبت على وضع رجلها في موضع قدم فرنسا الحالي، وللذكرى فإن أمريكا حاولت أن تنجح فيما فشلت فيه فرنسا في فيتنام حيث إنه بمجرد خروج فرنسا مكسورة الجناح دخلت أمريكا بكل خيلائها وجبروتها فالحال ما نال فرنسا، والذي لا شك فيه أن مستقبل الجزائر يحدد داخل الجزائر نفسها، ولن يستطيع أحد من الأعداء التأثير عليه إلا من خلال ثغرة موجودة في صفوف القوى الإسلامية المؤثرة، ولا يمكن إخفاء أن هناك ثغرات يحاول العدو النفاذ منها ، فهل نعمل على سد هذه الثغرات؟ ونعمل بجد على الوصول إلى الهدف المعلن وهو إقامة دولة إسلامية تحاول أن تسير على منهاج النبوة ، أم نضيع في خضم الخلافات والأهداف القربيّة التي قد تجعل من الخطوات الأخيرة أصعب الخطوات؟ وإذا كان جهاد الشعب الجزائري قد سرق منه قبل أكثر من ثلاثين سنة ، فهل نكرر الخطأ ، ونجعل غيرنا يحقق أغراضه على حسابنا ، ففرنسا تريد أن تقفل المشروع الإسلامي في بدايته وإذا كانت أمريكا ترى استحالة ذلك فلا يعني أنها لا تحاول إفشاله في مرحلة قادمة ، فالحذر الحذر والبدار البدار إلى تحديد الأهداف وإعداد الوسائل دراسة الواقع بایجابياته وسلبياته ، ومن أجل الخروج بتصور لحل المشاكل الداخلية التي تعترض سبيل الجهاد لإعادة الوجه الإسلامي المشرق لأرض المليون شهيد.

الساحة الجزائرية والنظام العالمي الجديد:

إن ما يجري في الجزائر قد فضح ما يسمى بالنظام العالمي الجديد وتتجه الغرب بالديمقراطية ودفعه عنها حتى لقد بلغ بهم الأمر أن يصدروا قراراً في مجلس الأمن يخول أمريكا تشكيل قوة لغزو دولة (هابيتي) مدعين أن هذا لمجرد إعادة الرئيس المنتخب ديمقراطياً وإسقاط النظام العسكري الحالي ، ومن جانب آخر يحذر القس والسياسي الأمريكي جيكي جاكسون «نيجيريا» من فرض حصار اقتصادي عليها إذا لم يسلم العسكريون الحكم لرجل الأعمال (مسعود أبيولا) الذي يعتقد أنه فاز في الانتخابات النيجيرية الأخيرة ، ولا ينتهي العجب عندما نرى الدول الغربية تدعم في الوقت نفسه زمرة من العسكريين الذين قاموا بإنقلاب عطل المسار الانتخابي وشن حرباً على الذين فازوا في الانتخابات الجزائرية ، ويبدو لي أنهم يرون أن الشعب الذي يعتمد في طعامه على المعلمات المستوردة يجب عليه أيضاً أن يحكم بأفكار معلبة مستوردة من الخارج أيضاً ، ولما كان المسؤولون الفرنسيون يتبعون بأنهم يسعون إلى محاربة الإرهاب في الجزائر حتى إنهم أخيراً أرسلوا ألف مظلي فرنسي بكمال سلاحهم إلى الجزائر مما يشكل بداية التورط الفرنسي المباشر فإنه من المستحسن عرض بعض الممارسات والوسائل التي يتبعها النظام في محاربة الشعب المسلم ، وسنكتفي بمقتضيات من رسالة كتبها المحامي الفرنسي المعروف بدفاعه عن الجزائريين أيام حرب التحرير وبعلاقاته الحميمة مع أركان النظام «جاك فرجس» وقد أختتم رسالته بكلمات يتبرأ فيها من أصدقائه القدامى الذين تخلوا عن المبادئ ومارسوا ضد الشعب نفس ممارسات المستعمرين الفرنسي ، فقال «لهؤلاء الذين ارتدوا على أنفسهم أقول: وداعاً للجزائريين إلى الأبد ، جزائر المخلصين والمقطوعين ، والضعفاء»

وحيث إن الرسالة طويلة وملينة بالتفاصيل اختار منها لقطات معبرة منها شهادة إسماعيل منصوري الذي يقول:

جَرِّدَنَا رُجَالُ الدُّرُكِ مِنْ مَلَابِسِنَا تَمَاماً ، وَأَوْثَقُونَا مِنْ أَرْجُلِنَا وَأَيْدِيْنَا وَأَحْرَقُونَا بِنَافَّةِ لَهْبٍ ، وَحَقَّنَا أحدهم بمادة في «القضيب» ، لم نكن نملك أي جواب على أسئلتهم ، فقد الكثير منا استخدام عضو من أعضائه ، وقد أورد المؤلف لائحة طويلة بمن ماتوا تحت التعذيب نختار من مات ما يلي:

١ - محمد عمروش: سبعة وعشرون سنة ، مؤذن بمسجد النصر ، أغتيل من قبل الشرطة أمام المسجد بينما كان رافعاً يديه إلى فوق.

٢ - سيد مقيرش: يلقب بـ(محمد لمانه) من كل سكان حي المدينة بالجزائر العاصمة لأمانته وثقته ، تم إيقافه من طرف رجال الدرك ببوزريعة «تحت إمرة (رئيس رقباء مساعد) توفي تحت التعذيب ، تم فتح تابوته رغم منع السلطات لذلك فوجدوا أن أعضائه قد قطعت بالمنشار الكهربائي. وقد تطورت أساليب النظام حيث عمدوا في الفترة الأخيرة إلى أسلوب العقاب الجماعي والتصفية العشوائية حيث إن قتل أحد عناصر الأمن في شارع أو في قرية يعني قيام قوات الأمن الخاصة «النجا» باعتقال وتصفية مجموعة من الشباب حتى الذين لم يكن لهم دور في الحادث ، وهذا يدل على الطريق المسدود الذي وصل إليه النظام حيث يعتبر أن كل الناس ضده ، وبدون تمييز ومن الملاحظ أن قوات الأمن يقومون بتغطية وجوههم خوفاً من كشف شخصياتهم ، وهذا ليس بمستغرب فإنه إذا كان الحكام الفعليين في الجزائر غير معروفين تماماً: فكل من (بن جديد) و(بو ضياف) و(علي كافي) و(زروال) واجهات يتم إجبارها على الاستقالة أو قتلها أو تحنيتها من قبل (المافيا الخفية) ، فإنه من الطبيعي أن يكون المرتزقة حريصين على عدم معرفتهم لحرصهم على حفنة من النقود التي تعطى لهم من المساعدات الدولية مع العلم أن المجند العادي في الأمن يتضاعى أجرأً أكثر من الطبيب مع انتشار البطالة حيث لم يعد أمام الشباب سوى الانضمام إلى قوات الأمن أو البقاء عاطلين ومعرضين للاعتقال أو الخروج إلى الجبال للانضمام إلى المجاهدين الذين نجحوا في إخراج النظام من كثير من المناطق حتى إن العاصمة بها مناطق محرمة على أ尤ان النظام ، وتدل عملية مهاجمة سكن السفارية الفرنسية التي كان يحرسها الدرك الفرنسي ومقتل خمسة من الدرك والدبلوماسيين وخروج المهاجمين بدون أي خسائر على الرغم من أن الحراسة مشددة في هذه المنطقة مما تدل على مقدار الفشل الذي يلاقيه النظام في إصراره ومن ورائه فرنسا على الحل الأمني ، أي القضاء على المجاهدين ، وكما يصرح المسؤولون الفرنسيون أخيراً أنهم يحضون الحكومة على إجراء الانتخابات في الوقت المناسب أي بعد تصفية الإسلاميين أو تحجيمهم. ولكن آنّى لهم ذلك وكيف يثبت بهم أحد بعد ما تسببوا في إدخال البلاد في نفق مظلم ، بتعطيلهم المسار الانتخابي ورفض خيار الشعب ، والله نسأل أن يعلى كلمته وينصر جنده إنه على ذلك قادر وبالإجابة جدير.

المسلمون والعالم أدركوا مسلمي بورما قبل فوات الأوان*

د. محمد يونس**

يتعرض إخواننا المسلمين في إقليم «أراكان» في بورما إلى حرب شاملة تقوم على القتل والتشريد والتعذيب ، مخالفة لكل الشرائع ومصادمة لما يسمى بحقوق الإنسان من قبل الطغمة الحاكمة البورمية البوذية ، وهذا موجز عن أوضاع هذا الشعب المسلم المضطهد ، وما يعانيه من حرب عنصرية شديدة يتتساها العالم ، لكن حين تتعرض زعيمة المعارضة البورمية لمضايقة بسيطة لا تصل إلى «واحد في الألف» مما يتعرض له المسلمون ، تقوم الدنيا ولا تقعده ، ويشنع على حكومة «رانجون» بدعوى مخالفتها لحقوق الإنسان ، أما المسلمون فلا مؤيد لهم ، وقد

سبق لمجلة «البيان» أن تطرق بالتعريف بهذه المنطقة من خلال دراسة موسعة عن هذا الشعب في العدد (٥٢).

- البيان -

«أراكان» المحطة هي الدولة الإسلامية التي تكاد أن تنسى من أذهان كثير من المسلمين مع مرور الأيام والسنين ، وهي تقع في جنوب غرب بورما البوذية والساحل الشرقي من خليج البنغال ، تحدها من الشرق سلسلة جبال هملايا وتجعل أراكان منفصلة تماماً عن بورما البوذية وتعطيها شكل وحدة جغرافية مستقلة ، كما تمتد حدودها من الشمال مع بنجلاديش نحو (١٧٦) ميلاً ، بينما يمتد ساحلها على خليج البنغال نحو (٣٦٠) ميلاً ، ويتجاوز عدد سكانها الأربعة ملايين ونصف المليون نسمة حوالي ٧٠% منهم مسلمون ، يعرفون باسم «الروهنجيا» و ٢٥% بوذيون يعرفون باسم «الماغ» ، ٥% أقليات أخرى من النصارى والهندوس وعباد الظواهر الطبيعية !

ومازال المسلمون يعانون الأمرين من القمع الذي تقوم به الحكومة البورمية البوذية منذ احتلال هذه المنطقة من قبل الملك البوذي (بودوبيه) عام ١٧٨٤ م وإلى الآن وما يحد ذكره أن أماكن المسلمين الروهنجيا ليست في أراكان فقط ، وإنما في العديد من المواقع بما فيها العاصمة رانجون. وفي عام ١٩٩١ م استغلت حكومة بورما البوذية الأحداث التي حدثت بعد أزمة الخليج الثانية ، فاستأنفت مسلسل القتل والتعذيب والقتل والتشريد ضد مسلمي أراكان الأبراء ، واستمرت المجازر والمذابح ضدهم لا شيء سوى إصرار هذا الشعب على عقيدته الإسلامية ومطالبته بالحرية والكرامة ((وما نعموا منهم إلا أن يومنوا بالله العزيز الحميد)) [البروج: ٥] فكان نتيجة لذلك المجازر الوحشية ، وسياسة انتهاك الأعراض الجماعية ، وتردي الأوضاع الأمنية ، أن اضطر أكثر من (٣٠٠) ألف مسلم روهنجيا من بينهم الأطفال والنساء وكبار السن إلى مغادرة ديارهم إلى دولة المجاورة هي «بنجلاديش» وقد أجبرت هذه الهجرة الجماعية المفاجئة بنجلاديش التي تعاني اضطرابات سياسية واقتصادية مستمرة على توقيع اتفاقية مع بورما نصت على:

- ١- العودة الفورية والسريعة للمهاجرين إلى ديارهم.
- ٢- أن تقوم الحكومة البورمية بتعويض المسلمين عن كل ما فقدوه.
- ٣- السماح لمسلمي أراكان بحرية السفر والتنقل داخل البلاد وخارجها.
- ٤- أن تصدر الحكومة البورمية بطاقة الجنسية للمسلمين فور عودتهم إلى بلدتهم.
- ٥- تعويض المسلمين عند استخدامهم قسراً عملاً لبناء السدود والطرق.

وفي الواقع أنه لم ينفذ أي بند من بنود هذه الاتفاقية بلعكس هو ما حدث فقد استبدلت القوانين العنصرية بأخرى أشد صرامة ، وأصبح التنقل للMuslimين في أراكان أصعب من السابق ، وازدادت عمالة السخرة والاحتجاز القسري وحوادث القتل والتعذيب والاعتقالات واغتصاب النساء وإجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين ، وإليكم فيما يلي بعض النماذج من هذه الممارسات التي تركتها الطغمة البوذية الحاكمة ضد المسلمين في أراكان فهي تساعد على إلقاء الضوء على الوضع المأساوي الذي يمر به المسلمين في هذا البلد المنسي:

من الناحية الدينية:

- ١- هدم المساجد وتحويلها إلى مراقص ومخارات ودور سكن.
- ٢- يتعرض العلماء والدعاة وطلبة العلم للامتحان والضرب ، وإرغامهم على العمل في المعقلات.
- ٣- عدم السماح للدعاة بالانتقال من مكان إلى مكان لممارسة الأنشطة الدعوية ، ولا يسمح بدخول العلماء والدعاة من الخارج لأعمال الدعوة والإرشاد بين إخوانهم المسلمين.

- ٤- مصادرة أوقاف المسلمين ومقابرهم وتحويلها إلى مراحيض عامة أو حظائر للخنازير والمواشي.
- ٥- يدخل أفراد الجيش البورمي البوذي في المساجد بأحذيثهم ونجاساتهم حاملين زجاجات الخمر تحدياً لمشاعر المسلمين.

٦- غير مسموح للمسلمين ببناء المساجد أو المدارس ولا إصلاح القديم منها كما لا يسمح لهم باستخدام مكبرات الصوت في الأذان.

٧- غير مسموح بأداء فريضة الحج للMuslimين من أرakan باستثناء عدد قليل ممن ترضى السلطات البورمية البوذية عن سلوكهم ، وهذا من باب الدعاية أيضاً.

من الناحية الاجتماعية:

١- صدر في عام ١٩٨٢ م قانون جديد للجنسية والهجرة وبموجبه قرر أن شعب أرakan المسلم شعب بلا وطن ، وليس لهم حق تملك أي عقارات في الدولة ولا ممارسة الوظائف في الدوائر والمؤسسات الحكومية.

٢- إجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين.

٣- إصدار توجيهات من قبل السلطات البوذية بين وقت وآخر تهدف إلى تحويل المجتمع المسلم إلى مجتمع إباهي.

٤- ترويج الخمور وإشاعة الفاحشة بين أبناء المسلمين الشباب على نفقة الحكومة بالمجان.

٥- إرغام المسلمين على العمل بدون تعويض كبناء السدود ، وحرق الخنادق للجيش ، وحمل بضائعهم إلى المناطق الجبلية النائية.

٦- إقامة مستوطنات بوذية جديدة بين قرى المسلمين بهدف تغيير التركيبة السكانية في أرakan ، وعلى وجه الخصوص في مناطق الكثافة السكانية للمسلمين.

من الناحية الاقتصادية:

١- مصادرة أراضي المسلمين وأوقافهم وإقامة معابد البوذيين ومستوطناتهم عليها.

٢- حجز قوارب صيد الأسماك التابعة للمسلمين ومصادرتها لأدنى سبب.

٣- عدم السماح للمسلمين ببيع محاصيلهم الزراعية ، مما يؤدي إلى خسارتهم.

٤- منع المسلمين من شراء الآلات الزراعية الحديثة لتطوير مشاريعهم الزراعية.

٥- عمليات السلب والنهب لأموال المسلمين تتم تحت إشراف عمال الحكومة.

٦- إلغاء العمالة المتداولة بين وقت وآخر من دون تعويض المسلمين عنها

٧- إحراق محاصيل المسلمين الزراعية ، وقتل مواشיהם

٨- عدم السماح للمسلمين بإقامة أي نوع من الصناعة في أرakan.

الموقف الحالي:

يتغلغل الخوف الدائم في قلوب الحكام البورميين من أن التنامي السكاني للشعب المسلم هناك ، لذلك يقومون بإكراه المسلمين على ترك شعائر دينهم واعتناقهم للحضارة البوذية وثقافتها ، وهذا يؤدي إلى منع المسلمين أن تقوم لهم قائمة ، وبالتالي ينجون في مخططاتهم التي انتهجهوا للقضاء على المسلمين منذ أول يوم لاستقلال بورما ، وللوصول إلى هذا الهدف فقد اتخذوا خطوات منها:

١- غير مسموح للنساء أن يتحجن خارج المنزل.

٢- على النساء والفتيات المسلمات أن يخرجن للعمل في الحقول

٣- لا يسمح للشباب المسلمين بإعفاء لحاظهم.

٤- غير مسموح للرجال المسلمين بارتداء زيه المعتم

٥- يجب على المسلمين الحصول على إذن مسبق قبل الزواج.

٦- إجبار الفتيات المسلمات على تناول موانع الحمل ، بينما ممارسة هذا العمل تعتبر خرق لقانون الدولة بالنسبة للبوزيات.

٧- غير مسموح للرجل المسلم أن يتزوج أكثر من واحدة.

٨- إرغام المسلمين على الانحناء للعلم البورمي.

٩- المراقبة المستمرة على المساجد والمدارس الدينية.

ولمتابعة هذه الخطوات التعسفية وتنفيذها قرروا بأن المسلم الذي يعفي لحيته لا يقبض راتب عمله حتى يحلقها ، ولا يسمح له بركوب الباصات والقوارب ، والنساء اللاتي يخرجن متحجبات يمزق حجابهن ، ومنذ مطلع عام ١٩٩٤ م قامت حكومة «رانجون» البوذية باجراءات بشعة تجاه علماء الدين والقيادات الإسلامية في أراكان، في خطوة خطيرة ضد المسلمين هناك فقادت السلطات العسكرية بالقبض على عدد كبير من العلماء والمشايخ واعتادت عليهم بالضرب والسجن ، وقامت سلطات السجن بحلق لحى العلماء والمشايخ وتشويه وجوههم ، ولم يكتفوا بهذه التجاوزات ، بل وصل بهم الأمر إلى اغتصاب بنات هؤلاء العلماء والمشايخ على أيدي أفراد القوات البوذية المسلحة.

وعلى صعيد آخر فقد تتابعت الأخبار الواردة من داخل أراكان بأن الطغمة الحاكمة البوذية لا تزال تصر على تكرار الأسباب والعوامل التي أدت بالشعب المسلم الروهنجيا إلى الهجرة والتشريد ، وعلى عدم اعترافها بهؤلاء المسلمين باعتبارهم مواطنين أصليين ، بالإضافة إلى امتداد عملياتها الإرهابية واجراءاتها التعسفية ، واعتقال زعماء المسلمين ، ونهب أموالهم واستباحة حرماتهم وإرغام سكان القرى والمدن من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن كل يوم على العمل بدون أي تعويض ، كرصف الطرق في المناطق الجبلية ، وحمل أسلحة الجيش والعتاد إلى الغابات والمناطق الجبلية.

كما أن الطغمة الحاكمة البوذية البويرمية شكلت مؤخرًا قوة خاصة باسم «الدفاع عن الحدود» (ناساكا) التي تضم رجال المخابرات السرية ووحدات انتشارية من الجيش ورجال الشرطة والجوازات ، للاحقة المسلمين ، ووفقاً للنظام الأساسي الذي تشكلت بموجبه هذه القوة الخاصة ، فقد أعطيت امتيازات مثل حق تنفيذ أي عملية بدون إذن رسمي سابق من قبل الحكومة ، كما أن لها اتخاذ أي اجراءات تراها مناسبة ضد المسلمين دون الرجوع للقضاء أو المحاكمات ومقر هذه القوة ولائية أراكان المسلمة ، لتمارس فيها ما تشاء من الإيذاء وصنوف التعذيب والقتل ضد المسلمين ، ونفذت حتى الآن عشرات العمليات ضد المسلمين الأبرياء منذ أن تم تشكيلها وقتل خلالها عدد كبير من الشباب المسلمين وأودع مئات آخرون في السجون باتهامات باطلة ، وفي الوقت الحاضر صار العلماء المسلمين على وجه الخصوص هدفاً لحملات هذه القوة.

وأخيراً قد اشتدت حدة اعداءات الطغمة الحاكمة ضد المسلمين كثيراً في الأسبوع الأول من شهر مايو ١٩٩٤ م تم اعتقال عدة مئات من المسلمين عشوائياً في بلدي «مونغدو وبوتاهيدونغ» من بينهم (٦٤) امرأة و طفل ، وهم يواجهون الآن شتى أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات.

و عمليات التعذيب والظلم قد تتعذر حدود ما كانت في السابق ، فقد جرى اعتقال ثلاثة مسلم في الفترة من ٢٣-٢٥/٥/١٩٩٤ م بما فيهم بعض عمد قرى المسلمين والعامليين التابعين لهم ، وهم يتعرضون في المعذلات لعمليات التعذيب على أيدي قوات (ناساكا) ، كما ذبح (١١) مسلماً من قبل هذه القوة الغاشمة في «مير الله» وهي منطقة قيادة «علي تانجو» «جنوب بلدة «مونغدو».

كما أجبرت القوات المسلحة البورمية العاملة في جنوب بلدة "مونغدو" (٢٠٠٠ ر. ٢٠٠٠) مسلم من سكان القرى على نقل أسلحة الجيش وبضائعه من مكان إلى آخر، كما استخدمو باعتبارهم دروعاً بشرية في العمليات العسكرية ضد المجاهدين وخلال تلك العمليات تم قتل عدد كبير من هؤلاء المسلمين والفلاحين العاملين في أراضيهم باتهامات كاذبة أنهم على علاقة بالمجاهدين.

هذه هي الحالة التي يعيش في ظلها المسلمين، وبموجب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «مثُل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» فإن مأساة أراكان قضية الشعب البورمي ليست مأساة قضية شعب واحد، بل هي مأساة جميع الأمة الإسلامية، بل مأساة الإنسانية جماء. إن قضية هذا الشعب تشكل محنَّة مركبة ومضاعفة ، وهي كارثة إنسانية كبيرة، وجريمة في حق المجتمع الدولي ضد القانون الدولي ، وإن إبادة جنس بشري أو فئة معينة داخل بورما لا يعتبر شأنًا داخليًا يخص بورما وحدها ، لأنه يتعلق بحقوق الإنسان التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، ويزعم الغرب أنه يدافع عنها.

فمناشدكم يا إخواننا أن تقوموا بواجبكم تجاه هؤلاء المسلمين المضطهدين في رانجون على إيقاف ممارساتها التعسفية وممارساتها القمعية وحملات الإبادة المنتظمة ضد المسلمين هناك، كما نناشد من خلال مجلة «البيان» الجهات المسؤولة في كل بلد مسلم أن تقف وراء شعب في أراكان في كفاحهم لاستعادة حقوقهم المغصوبة من الاستعمار البورمي وأن تمارس كافة الأساليب السياسية والدبلوماسية والاقتصادية للحد من ممارساتها العدوانية تجاه هؤلاء المسلمين العزل، كما نأمل تسهيل وسائل التعليم والمعاش والتقليل لهم ولأولادهم ((وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)) [الأنفال: ٧٢]

((واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)) [هود: ١١٥].

من أخبار مجاهدي الروهنجا:

وردنا من الأستاذ «سعيد الرحمن» أمين عام منظمة تضامن الروهنجا ما يلي من آخر أخبار المجاهدين هناك:

١ - وقعت دورية مؤلفة من (٣٥) جندياً في كمين أعده مجاهدو المنظمة في ١٩٩٤/٥/١٩ م شمال قرية «فانسي» التي تبعد (٤٨) كم شمال مدينة «بوتسي» في محافظة «أراكان» ، وقد قتل (١١) جندياً بورمياً في الكمين والجدير بالذكر أن القوات البورمية العاملة في جنوب مدينة «مونج داو» «أجبرت حوالي (٢٠٠٠) مسلم من سكان القرى على نقل الأسلحة والقيام واستخدمتهم باعتبارهم دروعاً بشرية في العمليات العسكرية ضد المجاهدين، وقتلت خلال العملية هذه عدداً من الفلاحين بحجة أنهم من المجاهدين الروهنجا.

٢ - بتاريخ ١٩٩٤/٦/١٥ م قامت مجموعة من مجاهدي الروهنجا بمحاصرة ومهاجمة دورية تابعة للجيش البورمي في الموقع العسكري في «خاندونج» بينما كانوا يستريحون في مضافة القرية شرق فومالي على بعد (٦) أميال جنوب شرق «بوتيدونج» ، وقد قتل (٧) من أفراد الدورية الثمانية فوراً ، واستولى المجاهدون على أسلحتهم ، ثم قامت قوات المجاهدين بنصب كمين للقوة الحكومية المساندة ، وحدثت مواجهة ثانية مع القوات المتقدمة قتل خلالها عنصر من القوات البورمية وأضطررت باقي القوة إلى التراجع حاملاً معها بعض الجرحى ، وعادت قوات المجاهدين إلى قواuderها سالمـة.

الهوامش:

*من بيان منظمة (الروهنجيا) أراكان بورما بتصريف بسيط ولها مجلة التضامن صوت المنظمة باللغة العربية وهي تستحق الاشتراك فيها لمساعدتها بالدعم لتواصل رسالتها في الدعوة والتعریف بال المسلمين هناك ، وعنوانها:

Yunus Mohammed .Dr c/o

٧٩٥ Box .O.P

Bangladesh Chittagong,

**هو رئيس منظمة تضامن الروهنجيا الإسلامية.

المسلمون والعالم

العمل الإسلامي في إفريقيا

حوار مع د/ عبد الرحمن السميط

التحرير

العمل الإسلامي الخيري بأنواعه المختلفة (الإغاثي التعليمي الدعوي... ونحوها) عمل جديد نسبياً ، ولكنه خطى خطوات متسرعة في السنوات الأخيرة.. فكيف تقومونه ، مع إيجابيات العمل وسلبياته؟

خلال الخمس عشرة سنة الماضية شهدت الساحة الإسلامية نمواً كبيراً جداً للعمل الخيري ، ورغم التوفيق الذي حالف الغالبية العظمى من هذه المنظمات بفضل من الله سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال ما حققه من نجاح طيب في كثير من الميادين ، إلا أنني أود أن أركز هنا على نماذج من السلبيات التي حدثت والتي أتمنى أن نقوم نحن العاملين في المؤسسات الخيرية بمراجعة أنفسنا وتصحيح هذه الأوضاع الخاطئة ، ومنها على سبيل المثال:

أولاً: بدأت تبرز عند البعض روح الانتماء للمنظمة التي يتبعها حتى طغت على روح الانتماء للإسلام ، مما أثر على العمل الإسلامي في المناطق التي يعملون بها ، وأحياناً يحدث هذا بحسن نية ونادراً ما يحدث بصورة أخرى. ودعني أضرب لك مثالاً:

قمت بزيارة لمنطقة نائية في شمال كينيا ، واكتشفت وجود قبائل أصلها إسلامي ، ولكن لا يوجد بينهم دعوة إسلامية منظمة ، وكان يوجد شخص من المدرسين الحكوميين يقوم بتدريس مادة الدين الإسلامي في بعض المدارس الثانوية ، و كان لديه استعداد طيب ، وبدأ فعلاً في الدعوة في وسط هذه القبائل ، وكنا بحاجة له للتفرغ للدعوة الإسلامية ، ولكن ظننا أننا لو سحبناه من المدارس ستصبح بدون مدرسين مؤهلين ، وبخاصة وأن التعينات الآن في تلك المدارس صعبة جداً ، مما يعني بقاء الطلبة في المرحلة الثانوية بدون توجيه إسلامي ، فتركناه على وظيفته على أن يعلم في أيام العطل معنا في الدعوة ، وفوجئنا بإحدى المنظمات تعرض عليه راتباً خيالياً وتقلله إلى مكان آخر ، بينما كان بالإمكان تعين أي شخص بديل له في ذلك المكان ، ومن السهل وجود أشخاص بديلين عنه هناك ، ونجم عن ذلك أن أصبحت المدارس بدون دعوة ، وكذلك القرى التي كان يزورها ويدعو الناس فيها فقدته أيضاً ، وأعتقد أن هذا التصرف ناتج من أن الأخوة لم يروا إلا من زاوية ضيقة (من وجهة نظر مصلحة المؤسسة التي يعملون بها فقط) ، ولهذا نجد تنقلات كثيرة بين المؤسسات الإسلامية أعتقد أن أشد المنظمات ضرراً على العمل الإسلامي هم أولئك الهواة الذين يأتون وفي جيوبهم كثير من المال ، ويعرضون الرواتب الخيالية في الأزمات ، ثم ينسحبون بمجرد

أن تنتهي الأزمة ، ويبقى هؤلاء الموظفون مشردين بدون وظيفة ، وقد حصل هذا في الجماعة التي أصابت الصومال وشمال كينيا ، حيث يوجد عدد غير قليل من كانوا موظفين في الحكومة وفي غيرها ، وتم إغراهم برواتب خيالية فاستقالوا من وظائفهم للعمل في بعض المؤسسات ، واستغنت عنهم تلك المؤسسات بعد انتهاء الجماعة ، فأصبحوا يمدون أيديهم إلى الناس طلباً للإحسان بعد أن كانت لديهم وظيفة يستطيعون أن يخدموا الإسلام من خلالها.

ثانياً: ومن السلبيات تدافع المنظمات للعمل في نفس المكان ، وكم كنت أتمنى لو قمنا بالابتعاد عن أي مكان توجد فيه إحدى المنظمات الإسلامية والانتقال إلى أماكن أخرى ، فالساحة تستوعب الجميع ، وما حدث في جماعة الصومال مثل على ذلك حيث تركز عمل أغلب المنظمات الإسلامية في منطقة مقديشو وما حولها ، وهذا نحن نرى تداعياً للمنظمات الإسلامية في بعض المناطق مع إهمال كامل لمناطق أخرى ، فموزمبيق مثلاً يوجد بها ست منظمات رغم محدودية العمل ورغم أن أغلب المنظمات لم تقدم شيئاً ملمساً حتى الآن لإخوانهم المسلمين ، ورغم المشاكل الإدارية التي تكتنف عمل بعض المؤسسات الإسلامية ، بينما دولة مثل غينيا الاستوائية التي فيها أعداد كبيرة من المسلمين ، ومثل نيجيريا والكميريون والكنغو لا يوجد فيها حضور حقيقي لمنظمات ميدانية تقدم عملاً خيراً في هذه المناطق إلا ما ندر.

ثالثاً: إصرار بعض المنظمات رغم العجز الإداري الموجود لديها على التوسيع بدون حدود ، مما أوجد خلخلة في أعمالهم ، فنجد بعض العاملين يبقون أشهرأً طويلاً بدون رواتب وبدون تعليمات ، دعك من الزيارات الميدانية التي يفترض أن يقوم بها العاملون في المكاتب الرئيسية لاطلاع على مشاكل مكاتبهم في مختلف المناطق ، وهذا أوجد إحباطاً في نفوس إخواننا من الدعاة في هذه المناطق مما عاد سلبيات كثيرة على العمل الخيري.

رابعاً: عدم قيام بعض المنظمات الإسلامية بتدقيق المحاسبة بشكل يضمن وصول المساعدة إلى المحجاج فعلاً ، كما قرر المتبرع ، مما أوجد فئة من الناس من قلت تقواهم فأصبحوا يجتهدون في هذه الأموال ، وأصبحت الحدود غير واضحة في أعينهم بين المصالح الشخصية ومصالح الإسلام وهناك سلبيات كثيرة تحتاج إلى وقت أطول و المجال أرحب.

***العمل الخيري من الأعمال الشاقة المجهدة..** مما هي الصعوبات الرئيسة التي ترون أنها تواجه
العمل الخيري ، وكيف يمكن تجاوزها أو التقليل من آثارها؟

كثير من العاملين في العمل الخيري يدعون أن المشكلة الرئيسة هي المال وأنا أعتقد أن غالبية المؤسسات الإسلامية لديها مشكلة مالية ، ولكن المشكلة ليست في قلة الأموال ولكن في تخمة الأموال التي لا تستطيع أن تضعها في موضعها الصحيح ، والمشكلة الرئيسة في نظري هي إدارة العمل الخيري حيث لا يوجد أشخاص مؤهلين للعمل في المؤسسات الخيرية الإسلامية نتيجة حداثة عهدها ، وهناك أيضاً انعدام الرقابة الميدانية عند بعض المؤسسات التي مدت جذورها بشكل كبير في وسط المتبرعين ونست الزيارات الميدانية وأهميتها في الرقابة الإدارية والمالية ، كما أن هناك صعوبة يجب أن لا نغفلها ، وهي عدم وجود الغطاء السياسي للعمل الخيري الإسلامي ، فالدول الإسلامية بصورة عامة دول ضعيفة أو دول لا تود الدخول في إشكالات سياسية لحماية العمل الخيري الذي ينبع من دولها ، بينما نجد أنه ما أن تم تمسمؤسسة أمريكية أو ألمانية أو إنجلزية إلا وتقوم قيادة حكومات تلك الدول وتدخل لدى أعلى المؤسسات الحكومية في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، لصالح العمل الخيري الذي تقوم به المؤسسات الغربية ، بينما نحن المسلمين كالآيتام على موائد اللئام وأضراب لك مثلاً بلجنة مسلمي إفريقيا ، وهي ليست فريدة في ذلك حيث قتل العديد من دعائتنا في عدد من الدول مثل الصومال وليبيريا وسيراليون وموزمبيق وغيرها ، وإطلاق النار على مؤسساتنا

شيء لم يعد يثيرنا بسبب كثرة ما يحدث ولا نستطيع أن نلجم إلى أي جهة تقوم بحمايتنا ، بل إنه حتى في الصومال برزت النعرات الوطنية والإقليمية بشكل مزعج ، فأنت عندما تطلب قوات لحماية الإغاثة التي تنقلها من مكان إلى آخر ، يقول لك المسؤول هناك: أنك لست تابعاً لبلدي ولا تستطيع أن أحميك ، بينما هو يقوم بحماية الإغاثة التابعة لمؤسسات نصرانية باسم الأمم المتحدة ، و كنت أتمنى أن نحس بالوحدة الإسلامية أولاً ، وبالوحدة الخليجية ثانياً في حماية المؤسسات الخيرية الخليجية بصورة خاصة ، والمؤسسات الإسلامية الأخرى بصورة عامة ، بعض النظر عن هذه الحدود المصطنعة التي وجدت بين دولنا.

***التخطيط والتدريب والمتابعة.. من الدعامات الرئيسية لنجاح العمل الخيري ، فما هي مرجياتكم حال هذا الموضوع؟**

أعتقد أن العمل الإسلامي الخيري إذا أريد له النجاح فلا بد له من وضع خطة مستقبلية مع تقييم لما نفذ من هذه الخطة على مراحل ، ويكون هذا التقييم بإجراء محاسبة إدارية ومالية دقيقة في المكاتب الرئيسية ، بالإضافة إلى زيارات ميدانية دورية لأمكانية العمل ، حيث لاحظنا أن بعض المؤسسات الخيرية تعتمد على الإدارة من بعيد دون أن تعلم ماذا يحدث في الميدان حقيقة ، بل إنها تعتمد اعتماداً كلياً في اتخاذ بعض القرارات المهمة على التقارير التي تصلها. أما مشكلة التدريب ، فمع الأسف الشديد قليل من المؤسسات التي تقوم بدورات تدريبية ولكنها لا تكون على المستوى المطلوب ، وينعكس ذلك على مستوى العمل مما يجعل بعض العاملين يتذمرون عن أمور يجهلونها.

***للمنظمات التصديرية خبرات طويلة وإمكانات هائلة وجهود جبارة في العالم الإسلامي.. فمن خلال خبرتكم في إفريقيا هل لكم أن تذكروا لنا بعض الإحصائيات لحجم هذه الأنشطة ، وما هو دور المؤسسات الإسلامية في مواجهة المد التصدير؟**

الإحصائيات موجودة في المراجع الأجنبية وبخاصة المراجع التصديرية وأضرب مثالاً بكنيسة «المرمون» التي زاد عدد أتباعها أكثر من ١٦ % خلال السنوات الأربع الماضية في إفريقيا ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية تبذل عشرات الملايين من الدولارات على العمل التصدير في إفريقيا ، حيث ازداد عدد الكاثوليك وهو فئة من فئات النصارى ما بين عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٤ م من ٥٢ مليون إلى ٩٢ مليون ، والمعروف أن البابا الحالي زار إفريقيا لأول مرة في عام ١٩٨٠ م ثم زارها بعد ذلك عشر زيارات ويوجد حالياً ٥٥ ألف طالب يدرسون الرهبنة الكاثوليكية في إفريقيا ويوجد حالياً ٢٠٧٠٠ قسيس و ٤٢ ألف راهبة ، يساعدهم ٢٦٤ ألف مساعد ديني متفرغ للقس في أعمالهم الدينية اليومية ، فإذا كان هذا في إفريقيا وحدها ، فما بالك في المناطق الأخرى ، ولوحظ كذلك أن رجال الكنيسة بدأوا الدخول في السياسة بدعم من الفاتيكان ، رغم أن الفاتيكان ينفي ذلك تماماً ، ولكن من الواضح جداً أنه لا يمكن أن يقوموا بما قاموا به من تدخل سياسي بدون هذا الدعم الخفي من الفاتيكان ، وكمثال على ذلك ، هناك خمس دول يرأس المجالس الوطنية أو البرلمانات بها قسس كاثوليك برتبة أسقف في غرب إفريقيا ، وقد كانت البداية في «بنين» حينما أصبح الأسقف «إيسادر ديسوزرا» رئيساً للبرلمان في عام ١٩٩٠ م ، ثم حدث نفس الشيء في الكنغو والغابون والتوغو وزائير ، ويرأس الحركة الانفصالية في جنوب السنغال قسيس كاثوليكي ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية متورطة حتى آذانها في الحركة الانفصالية في جنوب السودان ويقيم «جون قرنق» أثناء زيارته إلى نيروبي نصف المدة في كنيسة كاثوليكية في ضواحي نيروبي ، والنصف الثاني في كنيسة بروتستنطية ، وبكل وضوح يقوم بهذا العمل بينما تدخلت الدول الغربية لترحيم إقامة أي حزب على أساس ديني في خمس دول ذاتأغلبية إسلامية ، وهي موريتانيا ، والنيجر ، وتشاد ، والسنغال ، وغينيا كوناكري ، حتى لا يكون للإسلام صوت في السياسة ، وحسب إحصائيات المجلة الدولية لأبحاث

التبشير وهي مجلة علمية أمريكية فإن ما تم جمعه خلال عام واحد لصالح الكنيسة في شمال أمريكا وغرب أوروبا بلغ ١٨١ مليار دولار ، ويوجد لديهم ٢٠٥٠ محطة إذاعة وتلفزيون ، ويمثلون في دولة مثل أندونيسيا ٦٤ مطار ، ويمكن من هذا أن نقدر عدد الطائرات التي يملكونها.

*صلة القارة الإفريقية بالإسلام صلة قديمة جداً ، وقد كان للغة العربية حضور مبكر في القارة ، ولكن استطاع الاستعمار استبدال اللغة العربية وحروفها باللغات الغربية والأحرف اللاتينية.. فهل لكم أن تذكروا لنا بعض تلك الجهود في ذلك؟

الإسلام لم ينزل على إفريقيا (ببراشوت: مظلة) وإنما له جذور عميقه ، فمنذ هجرة الحبشة الأولى التي دخل بها الإسلام إلى إفريقيا قبل أن يدخل إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقد اكتشف قبل مدة مسجد في جزيرة «باتي» في شرق كينيا عمره ١٣٥٠ سنة ، واكتشف مسجد له نفس العمر في شمال زنجبار وفي جزيرة «بمبأ». وفي زيارتني الأخيرة إلى «مدغشقر» وجدت كثيراً من الآثار الإسلامية التي يعود تاريخها لأكثر من ألف سنة ، وينظر أحد الباحثين الغربيين أنه وجد قبراً في زيمبابوي كتب عليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«هذا قبر سلام صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام ٩٥ من هجرة النبي العربي»)

وهناك قرائن تثبت أن العرب كانوا قد سكروا جنوب إفريقيا قبل الرجل الأبيض ، بل قبل الرجل الأسود ، وأقصد جمهورية جنوب إفريقيا التي كانت عنصرية ، وإلى عهد قريب جداً كان الحرف العربي هو الحرف الذي كان يستخدم في الكتابة في إفريقيا بدون منافس ، حتى جاء الاستعمار والتتصير الغربي في منتصف القرن الماضي ، وأخذ يحارب الحرف العربي لأنه ينتمي إلى لغة القرآن ، واستطاع أن يغير كثيراً من اللغات ، من أواخر اللغات التي غيرت من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني لغة «الهاوسا» في شمال نيجيريا ، واللغة الصومالية وغيرها ، وكانت اللغة العربية لغة رسمية في كينيا إلى عام ١٩٦٤ م ثم ألغيت ، ومع الأسف الشديد فإن العرب لا يقدمن شيئاً للدفاع عن لغتهم ، حينما قام أحد الوزراء ذوي التوجه الإسلامي في السنغال بإلغاء اللغة الألمانية في بعض المعاهد نظراً لعدم الحاجة لها ، تدخلت ألمانيا وقطعت جميع المساعدات حتى اضطر أصحاب القرار هناك لإقالة هذا الوزير ، وفي «تشاد» تم إقرار اللغة العربية لغة رسمية ، ولكن رغم هذا لم تقدم أي دولة عربية بإرسال مدرس واحد للغة العربية في المدارس التشادية ، ولذلك بقيت اللغة العربية لغة رسمية حبراً على ورق ، وحتى الإذاعة العربية فكانت إلى عهد قريب تبث لمدة ربع ساعة فقط ، بينما الإذاعة باللغة الفرنسية تبث لعدة ساعات نظراً لعجز الإذاعة العربية عن توفير برامج ومعدات تحتاج إليها ، وقد صدر منذ شهر قرار من تشاد بأن تكون جميع اللافتات في الدوائر الرسمية باللغة الفرنسية واللغة العربية ، ورغم هذا لم تجد أي تشجيع من الدول العربية لذلك.

*كيف بدأت صلتكم الشخصية بإفريقيا ، وما هي العقبات الأولى التي واجهتكم في العمل ، وما أبرز نشاطات لجنة مسلمي إفريقيا؟

أذكر منذ كنت أعمل في كندا في السبعينيات أتنى ألقيت محاضرة على مجموعة من الطلبة المسلمين في أمريكا عن جهود التصدير، وتحمس الأخوة وطلعوا مني أن نفعل شيئاً، فاقترحت في محاضرة أخرى أن يدفع كل طالب مبلغاً يتراوح ما بين نصف دولار إلى دولار شهرياً وبصورة مستمرة ، ثم يجمع ذلك المال ونطبع به كتاباً ونوزعها في الدول المحتاجة وبخاصة في إفريقيا ، وعندما عدت إلى الكويت بعد انتهاء دراستي وتدربي شعرت بأن العمل الطبي لا يستوعب طاقاتي ، وحصلت على بعض التشجيع من بعض المسؤولين ، ونحمد الله سبحانه وتعالى أن تبرعت لنا

إحدى المحسنات لبناء مسجد ، فذهبنا إلى «ملاوي» لبناء المسجد ، وما وجدناه هناك كان يدمي القلب ، وعلى إثرها كنا نحن أحد المؤسسين للجنة مسلمي إفريقيا ، وقررنا منذ البداية أن نعمل بشكل علمي بحث ، وأن لا ننظر في الحالات الفردية ، وأن ننظر إلى المجتمع الإسلامي ككل ونحاول أن ننميه ، فنحن لا نساعد شخصاً بذاته لأنه يحتاج للمال أو لغيره ، ولكن نحاول أن نبني المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية والإغاثية لهذه المجتمعات ، وأذكر أنه في أول ثلاثة اجتماعات كنا بأمس الحاجة إلى ٥٠٠ دولار ولم نستطع أن نجمعها ، ولكن بعد ذلك نحمد الله سبحانه وتعالى على أننا قد تجاوزنا الامتحان في هذا الجانب في الأيام الأولى من بداية عملنا حتى أصبحت الأن لجنة مسلمي إفريقيا أكبر منظمة عالمية متخصصة في العمل الإسلامي في إفريقيا حيث يغطي عملها أربعين دولة في إفريقيا ولها مكاتب متعددة هناك ولدينا ٣٢٨٨ داعية متفرغاً وهو عدد يفوق ما لدى جميع الدول العربية المشتركة ، ولدينا أكثر من نصف مليون طالب يدرسون في ٨٤٠ مدرسة تديرها لجنة مسلمي إفريقيا عبر مكاتبها الميدانية ، وحرفنا ٧٦٠ بئراً ، ولدينا أكثر من ٢٠٠ طالب يدرسون الدراسات العليا وبخاصة في مجال الطب والهندسة والعلوم في عدة جامعات في الدول العربية والأجنبية ، كما قمنا بترجمة وطباعة وتوزيع أكثر من ٦٥ مليون كتاب إسلامي بـ ١٨ لغة وبالطبع لدينا إذاعة للقرآن الكريم وهي إذاعة الإسلامية الوحيدة التي تمتلكها منظمة إسلامية ، وتغطي ١٦ دولة إفريقيا في غرب إفريقيا ومقرها «سيراليون» وتبث بعشر لغات ، وقد أسلمت عدة قرى ومناطق بسبب سماعها للإسلام حيث لم تكن قد وصلتها الدعوة الإسلامية من قبل ، ومع الأسف الشديد فإن هذه الإذاعة تعاني من مشاكل مالية بعد أن استمرت عشر سنوات في البث بدون انقطاع.

في دائرة الضوء الكتاب الإسلامي: وقفات نقدية ودعوة للارتقاء نحو الأفضل

أحمد بن عبد الرحمن الصوبيان

انتشر الكتاب الإسلامي انتشاراً واسعاً ، وأصبحت له الصدارة في دور العرض والنشر ومعارض الكتاب الدولية والمحلية ، وسجلت مبيعاته أرقاماً قياسية منقطعة النظير ، وساعد في انتشاره تطور آليات النشر والطباعة تطوراً مذهلاً ، فأصبحت دور النشر تقذف بسيل متافق من الكتب بألوانها البراقة وعنوانيها الجذابة ، وأصبح المتابع للجديد يعجز عن الإحاطة بذلك ، وبخاصة مع فوضى الكتابة والنشر ، وغياب المؤسسات العلمية التي تتنظم ذلك وتحتويه أو تتبني الكتب المتميزة بعد دراستها وتقويمها.

وأمام هذا الركام المتتابع من الكتب تضيع الكتابات العلمية الجادة التي يكتبها أهل القدرة والإتقان ، وبخاصة إذا لم يكونوا من أصحاب الأسماء اللامعة المشهورة ، ويظهر هذا جلياً مع غياب القارئ الناضج غالباً الذي يملك قدرة نقدية تؤهله للتمييز بين الغث والسمين ، حيث أصبح كثير من القراء كالثائه الغريب لا يدري أين يتجه..!

وعلى الرغم من العمر الطويل نسبياً للصحوة الإسلامية المعاصرة ، إلا أن القدرة العلمية لكثير من أبنائها لم تنضج بعد ، ويظهر ذلك في العقلية الهمة التي شاهدناها في المنظومة الثقافية السائدة

هنا وهناك. مع أن أبناء الصحوة مقارنة بغيرهم أكثر الناس ثقافة واهتمامًا بالقراءة وإقبالاً عليها بمختلف تخصصاتها.

وللمادة المكتوبة المعروضة في الساحة تأثير كبير جداً في صنع وتشكيل فكر القراء ، وتقويم هذه المادة وتحليلها ضرورة ملحة تساهم في إثراء المعرفة العلمية وترسيدها ، وفي هذه الورقات سوف أقف وقفات عابرة عند بعض الكتابات الإسلامية الحديثة ، لعلها تساعد في تسديد النقص وتقويم الخطأ.

الوقفة الأولى: في أهداف التأليف: أولاً: التجديد والإبداع:

تختلف أهداف التأليف من كاتب إلى آخر، ولكن من السمات الظاهرة في الكتابات الإسلامية غياب الإبداع والتجديد ، فالكتابة الأصلية الجادة التي تقدم إضافة علمية جديدة قليلة جداً ، إذا قورنت بالعدد الكبير الذي تنتجه المطبع ، فمعظم الكتابات تكرار واجترار لا جديد فيها ، فالمسألة الواحدة تجد فيها عشرة كتب مثلاً أو أقل أو أكثر كلها تدور حول أفكار واحدة وتعرض بطرق متشابهة ، وقد لا يبالغ إذا قلت وباستخدام مفردات وجمل وشواهد واحدة..!

وهذا ناتج في كثير من الأحيان عن عجز بعض الكتاب وافتقادهم لآلية الكتابة وأدواتها ، والإبداع لا يأتي من فراغ ، فهو ثمرة لتراكم مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف والخبرات وكثرة الكتب في الموضوع الواحد لا تدل على أنه أعطى حقه من الدرس أو أنه بحث بحثاً متكاملاً ، بل إن ذلك قد يتطلب مزيد بحث وتأصيل ، إما لأن الكتابات السابقة كلها أو بعضها ضعيفة ، أو أن الموضوع واسع ولم تستوعب جميع أطراقه ومسائله.

ولا يعني هذا أن كل كاتب مطالب بأن يأتي بأفكار جديدة دائماً ، ولكن إذا لم تكن الفكرة جديدة فليس أقل من التجديد في أسلوب العرض والمناقشة والتحليل.

قال الإمام النووي في بيان آداب التأليف: «وينبغي أن يكون اعتماده من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر ، والمراد بهذا إلا يكون هناك مصنف يُعني عن مصنفه في جميع أساليبه ، فإن أعني عن بعضها فليصنف من جنسه ما يزيد زياته يحتفل بها مع ضمّ ما فاته من الأساليب»(١). وقال صاحب الأزدي: «لا ينبغي لمصنف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى ، وإما أن يبتدع وضعاً ومبني ، وما سوى هذين الوجهين ، فهو تسويق الورق ، والتحلي بحلية السرف»(٢).

و قال حاجي خليفة: «ثم إن التأليف على سبعة أقسام ، لا يُؤلف عالم عاقل إلا فيها ، وهي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يربته ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه»(٣).

وجماع هذه المقاصد التأكيد على ضرورة الإتيان بالجديد ، والحرص على الإبداع والابتكار ، والذي ينبغي تأكيده أنه على الرغم من كثرة الإصدارات وتتابع المطبوعات الحديثة ، إلا أن الأصيل النافع هو الذي بقى والزمن كفيل بإماتة الغثاء ، قال الله تعالى: ((فَلَمَّا زَرِدَ فِي ذَهَبٍ جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَكَثَ فِي الْأَرْضِ)) (سورة الرعد: الآية ١٧).

ويعجبني في هذا السبيل موقفان رائعان:

الموقف الأول: قال المفضل بن محمد بن حرب المدني: «.. ثم إن مالكاً عزم على تصنيف الموطأ ، فصنفه ، فعمل من كان في المدينة يومئذ من العلماء الموطّات ، فقيل لمالك: شغلت نفسك بعمل هذا

الكتاب وقد شارك فيه الناس وعملوا أمثاله ، فقال: أئتوني بما عملوا ، فأتي بذلك. فنظر فيه ثم نبذه ، وقال: لتعلم أنّه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله.

قال المفضل: فكأنما أقيمت تلك الكتب في الآبار وما سمع لشيء منها بعد ذلك بذكر!»(٤).

الموقف الثاني: قال البوطي لشيخه محمد بن إدريس الشافعي: «إنك تعتنى في تنظيف الكتب وتصنيفها ، والناس لا يلتفتون إلى كتبك ولا إلى تصنيفك ، فقال: يابني إن هذا هو الحق ، والحق لا يضيع»(٥).

ثانياً: التنظير الثقافي

بعض الكتابات الإسلامية تميل إلى التنظير الثقافي ، ولا يتم تنزيلها على أرض الواقع الذي تعيشه الأمة ، فهناك فجوة عميقة فسحة بين الهم الثقافي والمعاناة اليومية التي تعيشها الأمة الإسلامية ، وإن التجريد والإغراق في التنظير ، وتحويل الكتابة إلى متعة ثقافية أو أطروحتات فنية ، لا يخدم الدعوة الإسلامية بحال ، فما لم تحول الأطروحتات الثقافية إلى مشروعات عمل وإنجازات مشاهدة ملموس فإنها تبقى كلمات باردة لا حياة فيها.

إن الكتابة الإسلامية ليست صنعة ينكب بها المرء ، أو هواية يشغل بها وقته ، وإنما هي إحساس بالمسؤولية ينبع بمشكلات الأمة واحتياجاتها ، ومن ثم فإن الكاتب الناجح هو الذي ينزل من صومعته الفكرية وبرجه العاجي ويتلمس هموم الناس وأحساسهم ، ولا بد من تفاعل وتواصل يتسم بالحيوية والجدية بين الكاتب والقارئ ، ولكن مع الأسف الشديد لازال الخطاب الإسلامي بعيداً عن رجل الشارع ، وهو أقرب إلى السلبية والارتجال ، منه إلى الإحساس بواقع الأمة.

لقد غلت عزلة الكتاب الإسلامي عن الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، فهو لا يقدم الأطروحتات العلمية التي تنطلق من المستجدات المتلاحقة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، والتي تفرزها بيئات متباينة سياسياً واجتماعياً ، فالدراسات الشرعية الحديثة المتخصصة في الفقه والتوحيد ، ونحوهما اقتصرت على التحقيق والترتيب والتبييب والاختصار ، ونحو ذلك. وهذه مطالب في غاية الأهمية ، ولكنها قصرت تقصيراً واضحاً في معالجة احتياجات العصر ومستجدهاته. في مجال الدراسات العقدية ، قل أن تجد دراسات متخصصة لمناقشة الفلسفات الغربية المعاصرة ، التي ملأت الساحة بضجيجها ، وقل أن تجد دراسات متخصصة للرد على دعاة التغريب والحداثة ، وما بعد الحادثة ، ونحوها.

ومما يلزم ذكره أنّ أئمتنا وأسلافنا رضي الله عنهم كانوا يعالجون القضايا التي احتاجت إليها عصورهم ، قضية الإمام الشافعي ، تختلف عن قضية الإمام أحمد بن حنبل ، وتختلف عن قضية الإمام ابن تيمية ، وإن كانت كلها تجتمع في إطار واحد

أما نحن فقد وقفنا عند قضايا المتقدمين ، ولم نهتم الاهتمام اللازم بقضايا عصرنا التي تحيط بنا من كل مكان ، فعصرنا الذي نعيش فيه وإن كانت قضاياه تشارك بعض قضايا هؤلاء الأئمة في بعض المسائل - إلا أنّه قد استجدت فيه مسائل وأحوال كثيرة تحتاج إلى اجتهادات جديدة ومعالجات علمية مستفيضة ينهض بها علماء الأمة ومجتهدوها.

وأماماً في مجال الدراسات الفقهية وهناك قصور بين في دراسة فقه النوازل ، مثل: (المعاملات المالية المصرية بتعقيباتها الكثيرة ، التأمين ، العلاقات الدولية.. ونحوها). وإن كانت هناك إسهامات محمودة مشكورة في هذا الميدان ، لكنها لا زالت قليلة وتحتاج جهداً أكبراً

وأما في مجال السياسة الشرعية فالامر فيها أصعب ، والدراسات التي يعتمد عليها في هذا الباب لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وكتاباتنا السياسية لا تُعد في الغالب أن تكون توصيفاً للواقع أو لبعض جوانبه ، وهي تعمد غالباً إلى تصوير العدو الخارجي وكأنه أخطبوط امتد لكي يحيط بكل شيء

ويسيطر عليه ، وأما نحن ف مجرد أحجار على رقعة شطرين !! ومن ثم فإن الخطط التي تدار ، والدسائس التي تحاك هي سبب هزائمنا المتلاحقة ، والنتيجة الطبيعية هي الهروب من المسؤولية بإلقاء التبعة على العدو الخارجي دائمًا !!

إن مشكلات الأمة الإسلامية ، مشكلات كثيرة ، متعددة الألوان متعددة الاتجاهات ، معقدة تعقيداً كبيراً ، وتحتاج إلى دراسات علمية جادة ناضجة تنفذ إلى العمق ، وترسم السبيل الأمثل لوعي الأمة وعزتها.

الوقفة الثانية:

الموضوعية العلمية في البحث والدراسة والتحليل:

تميزت بعض الكتابات الإسلامية بضعف ظاهر في اعتماد الموضوعية العلمية في البحث والدراسة والتحليل ، ومن علامات ذلك:

أولاً: ضعف منهج الاستدلال العلمي:

إن الاعتماد على المصادر الشرعية للاستدلال والتلقي ، مطلب أساس لسلامة البحث العلمي واستقامته على الجادة الصحيحة ، وقد تواترت الدلائل الشرعية لتقرير ذلك والتأكيد عليه ، قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)) [سورة النساء: الآية ٥٩] ، فالأدلة المتفق عليها هي: الكتاب والسنة والإجماع واختلاف العلماء في القياس ، وأكثرهم على اعتباره دليلاً رابعاً إذا استوفى الشروط العلمية التي قررها علماء الأصول.

وقد انحرف عن هذا السبيل فئتان:

الفئة الأولى: الذين أهملوا النصوص الشرعية على اختلاف ظاهر في درجة الإهمال وأدى ذلك إلى استحداث مصادر أخرى للاستدلال والتلقي. ومن هذه المصادر:

(١) الاعتماد على الآراء والعقول البشرية المجردة ، مع توافر النصوص الشرعية المحكمة ، كما هو الحال عند أصحاب المدرسة العقلية ، ومن دار في فلكهم من أهل الرأي الذين يعارضون بأقويسهم الفاسدة وآرائهم الناقصة النصوص الثابتة المحكمة.

(٢) الاعتماد على أقوال الشيوخ والرجال ، وجعلها حجة في ذاتها وتقد يمها على الكتاب والسنة الصحيحة.

(٣) الاعتماد على الذوق والوجد والإلهام والكشف ، كما هو الحال عند الصوفية والباطنية.

(٤) حصر الحق في منطقة أو بلد أو طائفة بدون حجة أو برهان.

الفئة الثانية: أخذوا بالأدلة المتفق عليها ، ولكنهم تعاملوا معها بحرفية صارمة أدت إلى الانحرافات التالية:

(١) عزل النص الواحد عن النصوص الأخرى ، وأخذه كأنه وحدة مستقلة ، أو أخذ النص بمعزل عن المقاصد الكلية للتشريع الإسلامي ، وهذا يؤدي بالضرورة إلى قصور بين في النظر ، وعجز في التصور ، ومعلوم أن المسألة لا تتضح معاليمها إلا إذا جمعت أطرافها واكتملت أجزاؤها.

(٢) إهمال الأصول والقواعد العلمية التي أصلّها الأئمة الأثبات في فهم النصوص ، مثل العام والخاص ، والمطلق والمقييد ، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ، ونحوها.

(٣) الاستهانة بأقوال الأئمة والفقهاء المتقدمين منهم والمتاخرین ، بحجة أن النص موجود بين أيدينا ، ويمكن أخذه مباشرة ، فلسنا بحاجة للنظر في شيء آخر ، ويحتاج بعضهم بأن أكثر الأئمة والفقهاء كان ينهى عن تقليده وكتابه أقواله واجتهاداته ، وقد يقول: هم رجال ونحن رجال..!

وفي هذا المنهج خطورة بالغة لا تحمد عقباها ، ونتيجتها الحتمية إهمال التراث العلمي العظيم الذي ورثناه عن أئمة الإسلام وفقهائه الأعلام ، وفرق كبير بين تقليد الأئمة وجعل أقوالهم في منزلة أقوال النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم من جهة ، والضرب بها عرض الحائط وإهمالها من جهة أخرى...!

(٤) تأثر فهم الكاتب بالبيئة الاجتماعية والتربوية والنفسية التي نشأ عليها ، فإذا كانت البيئة تميل إلى التساهل فأحكامه واختياراته متساهلة ، وإذا كانت البيئة تميل إلى التشديد ، فأحكامه و اختياراته متشددة.

وخطورة هذا المسلك أنّ المرء يبني اجتهاداته العلمية بناء على الخلفية الفكرية التي نشأ عليها ، وهو لا يشعر بذلك على الإطلاق ، فيكون اختيار الباحث واجتهاده انعكاساً لبيئته ، ولذا فإن التجربة البحثية والتحليل من القضايا الدقيقة التي تحتاج إلى مزيد عناية ونظر.

ثانياً: الاستهانة بعقل القارئ وفكرة من خلال المسائل التالية:

١ - تلقين القارئ:

يسعى بعض الكتاب إلى تلقين القراء الفكرة المراده وكأنها لوائح إدارية صارمة مجردة من الاستدلال العلمي والبرهان الشرعي ، دور القارئ التسليم والقبول ، ثم التلقي والأخذ ، بدون نظر أو تأمل ، لأنّ الكاتب قد كفاه المؤونة ، وفكّر بالنيابة عنه.

فالكاتب بذلك يربّي القارئ على التبعية والتقليد ، وعلى الحفظ والاجترار ، وليس على النظر والتفكير ، والنتيجة قدرة فائقة على الحفظ والاجترار ، وعجز ظاهر عن التأمل والتعقل والنقد البناء . إن الكاتب المتميز هو الذي يربّي عقل القارئ ويدفعه إلى التفكير ويستحبه على النظر والمشاركة ، ويفتح أمامه آفاقاً جديدة من البحوث فحينما ينهي القارئ الكتاب الذي بين يديه ، ويبدأ بنشاط عقلي جديد يدعوه إلى التأمل وتقليل النظر ، ويثير عنده الرغبة في المساهمة الفاعلة ، فقد نجح الكاتب هنا نجاحاً ملحوظاً في ربط القارئ بما كتب وبمقدار ما يشعر القارئ بالحيوية والتفاعل ، يكون مقدار النجاح . ولكن حينما يعجز الكاتب عن دفع القارئ إلى التفكير ويبيّن ذهنه ساكناً خاماً ، فقد أخفق في ربطه والتأثير عليه ، والقارئ الذي يفقد القدرة على التفكير هو بالضرورة عاجز عن التفاعل والتواصل والانقطاع بما يقرأ...!

٢ - الوصاية على عقل القارئ وفكرة:

يسعى بعض الكتاب إلى فرض الوصاية على عقل القارئ وفكرة ومحاصره ، والإزامه بالنتيجة التي توصل إليها ، ويظهر ذلك في بعض الأحيان من عنوان الكتاب فضلاً عن مادته الأصلية ، في بعضهم يعنون لكتابه بقوله: (القول الفصل في...) ، (نهي الصحبة عن...) ، (الإمام الأصحاب ب...). ، ويشعر القارئ حينما يقرأ لهؤلاء الكتاب في المسائل الخلافية التي تبادرت فيها أنظار المجتهدين قدّيماً وحديثاً ، أنّ الحق معه بلا ريب ، وأنّ مخالفه على شفا جرف هار يُخشى أن ينهار به إن لم يتتب...! وليس خطأ أن يجتهد الكاتب في ترجيح أحد الأقوال بدليله إذا استقر غ وسعه وكان أهلاً لذلك ولكن الخطأ أن يتصادر أقوال الآخرين ويحسم المسألة حسماً قاطعاً لا مراجعة فيه ، وفي هذا ازدراه بعلماء الأمة ومجتهديها الذين لم يصلوا إلى ما وصل إليه...!!

ويتفرع من هذه المسألة أنّ بعض الكتبة قد لا يلزم القارئ بالنتيجة التي توصل إليها ، ولكنه يوهمه بأنّ المسألة لا يوجد فيها إلا قول واحد ، ويسعى لتلميعه وإبرازه ، وإن وجدت أقوال أخرى فهي عنده ضعيفة ليس لها حظ من الأثر أو النظر ، مع أنها قد لا تقل قوّة عن القول الأول ، وقال بها أئمة مجتهدون ، وأخشى أن يكون في هذا الأسلوب لون من ألوان الخداع وقد للأمانة العلمية التي تعد

لازماً من لوازم البحث العلمي ، كما أنّ فيها مشابهة لليهود الذين يكتمون الحق ، قال الله تعالى: ((يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)) (سورة آل عمران: الآية ٧١).

والمنهج العلمي يقتضي عرض الأقوال والحجج بأمانة كاملة ثم يرجح بناء على القواعد العلمية المتبعة عند علماء الأمة للترجيح بين الأقوال ، قال ابن تيمية: «يجب أن يكون الخطاب في المسائل بطريق ذكر دليل كل قول ومعارضة الآخر له ، حتى يتبيّن الحق بطريقه لمن يريد الله هدایته»(٦).

٣- ضعف التركيز:

بعض الكتاب يبدأ الكتابة والفكرة لم تنضج بعد في ذهنه ، ولم يتصور المسألة تصوراً جيداً ، فيضطر إلى الخلط والتتفيق ، أو الدوران وفقدان التركيز ، رغبة منه في الوصول إلى مراده، فلا الكاتب قادر على استيعاب الفكر، ولا هو قادر على إيصالها إلى القراء، والنتيجة المتوقعة إزاء ذلك ضحالة الفكرة وميلها إلى السطحية وقلة العمق.

إنّ الكاتب الناجح هو الذي يستطيع نقل الأفكار والمعلومات إلى القارئ بأقصى قدر من المنهجية العلمية ، مع سهولة العرض وسلامة الأسلوب ، وأمّا الدوران والتنطع والتقرّع في الكلام فكما أنه يفسد الفكرة ويصعبها ، فهو يُملّ القارئ وينفره.

قال الإمام النووي في بيان آداب التصنيف: «وليحرص على إيضاح العبارة وإيجازها ، فلا يوضح إيساحاً ينتهي إلى الركاكة ، ولا يوجد إيجازاً يفضي إلى المحقق والاستغراق»(٧). وقال ابن الأنباري: «متى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة ، كان أولى من جعله جملتين من غير فائدة»(٨).

٤- المنحى العاطفي:

يغلب الخطاب العاطفي على كثير من الأطروحات الإسلامية ، فالمواعظ والقصص هي السائدة في طريقة المعالجة لعامة القضايا ، فالرّبا مثلاً لا يعالج معالجة فقهية اقتصادية مؤصلة ، تحدّد فيها أبعاد المشكلة ومعالمها ، ثم تحدّد آثارها وأخطارها على الفرد والمجتمع ، ثم ترسم الحلول والبدائل العلمية الجادة ، للنهوض بالأمة من هذا المأزق الخطير.

وهكذا عامة قضايا الأمة ينبغي أن تعالج بعلمية ، ولا تعالج بعواطف و عموميات تحوم حول الحمى ولا تقترب من أصل الداء ، ولا بأس أن توجد كتابات تركز على الجانب العاطفي ، أو تتخصص فيه في مقاماتها ، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه صفة سائدة في الخطاب الإسلامي، فالخطاب الوعظي يصلح لبعض الناس، ولكنه لا يصلح لهم جميعاً، كما أنه يصلح لمعالجة بعض الموضوعات ، لكنه لا يصلح لها جميعاً والحكمة تقتضي وضع الشيء في موضعه اللائق به شرعاً وعقلاً. يخيل إلى وأنا أقرأ البعض الكتاب أنّ تخلف الأمة القرون الماضية كلها يمكن أن يعالج بإذكاء العاطفة والإصلاح القلبي ، ولا شك بأنّ هذا تبسيط ضيق الأفق ، وإيقاظ البعد الإيماني لمعالجة مشكلات الأمة مطلب أساس ولكنه بالمفهوم الشامل المتكامل لمعنى الإيمان ، ومن مقتضيات ذلك رسم الأوعية الشرعية الأصيلة للنهوض بالأمة من كبوتها.

٥- ضعف الرؤية الشاملة:

تفقر بعض الكتابات الإسلامية إلى الرؤية الشاملة للإسلام ، وإنما تأخذ أصول الإسلام وشرائعه أجزاء متفرقة لا صلة لها ببعضها.

وظهر في هذا الإطار اتجاهان:

الاتجاه الأول: ركز على القضايا الكلية ، وأهم ما يسميه بالثانويات والقشور والشكليات ، مع أنها كلها ثابتة بالنحو الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم-على اختلاف بين في تحديد المقصود بالكلليات والثانويات.

ومن ذلك أنّ أحدهم كان ينوي على بعض الناس اشتغالهم في إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى ، وفي الوقت الذي تمت فيه أيادي اليهود والنصارى لسرقة مقدرات المسلمين وأموالهم ، فضلاً عن أيدي فساق المسلمين التي ترابي وتغش وتحتكر..!

وأحسب أنّ هذا الاختلاف مفتعل تماماً ، والحقيقة أنّه يمكن إثبات يدبين لله سبحانه وتعالى تليقان بكماله وجلاله وعظمته ، ومع ذلك يمكن محاربة اليهود والنصارى والتحذير من المرا比ين ونحوهم ، وأما نشطير الدين وتبعيشه فمما لم يرد عن الرعيل الأول من الصحابة والتتابعين.

الاتجاه الثاني: ركز على جزئيات الشريعة ووضعها في موضع الكليات ، وأدى ذلك إلى التناهى في الأخذ بأصول الإسلام ، وصرف الطاقات في قنوات مفضولة.

والصواب أنّه لا يجوز الاشتغال بالفروع على حساب الأصول ولا بالجزئيات على حساب الكليات ، كما لا يجوز إهمال الفروع والاستهانة بها، بدعوى أنها قشور وثانويات ، فكل شيء ثبت في دين الله عز وجل فهو حق يجب أن يقدر حق قدره، ويوضع في موضعه اللائق شرعاً.

ونصوص الشرع وقواعد تقاضي البدء بالأهم فالمهم ، كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن عباس ، لما بعث النبي صمعاذًا إلى اليمن.^(٩)

وفقه الأولويات من المسائل المهمة التي تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة وتأصيل.

الهوامش:

- (١) المجموع شرح المذهب (٣٠/١)
- (٢) التعريف بآداب التأليف للسيوطى ص ٢٨
- (٣) كشف الظنون (٣٥/١) ، وبسط ابن خلدون القول في بيان هذه الأهداف في المقدمة (٢٣١ ، ٢٣٠/٢)
- (٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨٦/١) وعنده السيوطى في تنوير الحالك (٧/١)
- (٥) التعريف بآداب التأليف ص ٢٣، ٢٤
- (٦) مجموع الفتاوى (١٠٨/٨)
- (٧) المجموع شرح المذهب (٣٠/١)
- (٨) الإنفاق في مسائل الخلاف ص ٢٦٤
- (٩) أخرجه البخاري (٣٥٧/٣) ومسلم (٥٠/١)

الورقة الأخيرة الهجرة غرباً

د. وحيد عطية المصري

يجب انتباه المطالع للصحافة العربية اليومية الإعلانات المتكررة لمكاتب الهجرة إلى الخارج التي تحت أصحاب الخبرات العلمية ورؤوس الأموال على الهجرة إلى الغرب ، كذلك يجد المتابع لتلك الإعلانات أن فحواها كتب بطريقة خبيثة ومغربية لجذب «الزبائن» لبعضها! وعادة ما تذكر تلك الإعلانات العديد من المميزات مثل:

*نظام الضمان الاجتماعي للمستحقين.

*الرعاية الصحية المجانية.

*التعليم مكفول للجميع.

*الاستقرار والأمان والحرية.

لذلك يجد الكثير من أبناء المسلمين المضطهدين في بلدانهم المؤهلين تأهيلًا عالياً ضاللتهم في مكاتب الهجرة تلك ، ويقبل عليها المضطهدون اضطراراً أو أصحاب الثروات الخائفين من مصادرتها بطريقة أو بأخرى ، وغالباً ما يجد العلماء والمهندسين والأطباء والمحاسبون فرص عمل ممتازة في البلاد الغربية مقارنة بما يجدونه في بلادهم، بل إن العديد منهم يبزون نظراهم الأجانب ويتقىدون أعلى المناصب في المؤسسات والهيئات التي يعملون بها.

إن الأمر ليس بمقصور على مكاتب الهجرة فحسب ، بل إن المشاهد لطارقى أبواب بعض السفارات يطلبون معلومات واستفسارات عن الهجرة يتيقن تماماً أن نزوح الخبرات المسلمة في تزايد مستمر ، وهو من غير أدنى شك يؤدي إلى النزوح المعاكس للخبراء الأجانب إلى بلاد بعض المسلمين بمميزات خاصة لا تتوفر لأبناء المسلمين في بلدانهم!

غير أن كل ما سبق من مغريات للعيش في بلاد الغرب يجب أن لا ينسينا ما يواجهه الغرب من انهيار في القيم والأخلاق ، بالإضافة إلى ما سيواجهه المسلم هناك من مشكلات ، منها على سبيل المثال لا الحصر: أداء الفرائض بصفة عامة ، وتربيه الأبناء وتعليمهم ، وخطر تأثير المجتمع المختلط على الأسرة المسلمة.

وهناك أسئلة عدة تطرح نفسها: هل توضح مكاتب الهجرة المميزات والأخطار «للزبون» ، أم تعميه بذكر المميزات التي يفتقدوها في بلاده فقط؟ لماذا تبحث مكاتب الهجرة عن المسلمين سواء أكانوا خبراء أو مستثمرين وتشجعهم على الهجرة؟ وإلى متى هذا التزاحم على مكاتب الهجرة وأبواب السفارات الأجنبية من أبناء المسلمين؟

ليس المطلوب من علماء المسلمين ومفكريهم محاربة هذه الظاهرة فحسب ، بل عليهم أيضاً إجاد الحلول والتشريعات اللازمة لمحافظة على العقول المسلمة ، وتكرييمها ، وإعطائهما الثقة الكاملة في سبيل النهوض بالأمة الإسلامية لتصبح الرائدة بين الأمم في شتى نواحي الحياة.

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين
